جعفر السعدي

صراحة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1788) السنة السابعة

الخميس (6) آيار 2010

جعفر السعدي ((أب)) المسرح العراقي

2

تجربة جعفر السعدي المسرحية

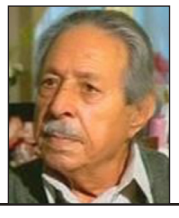

8

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

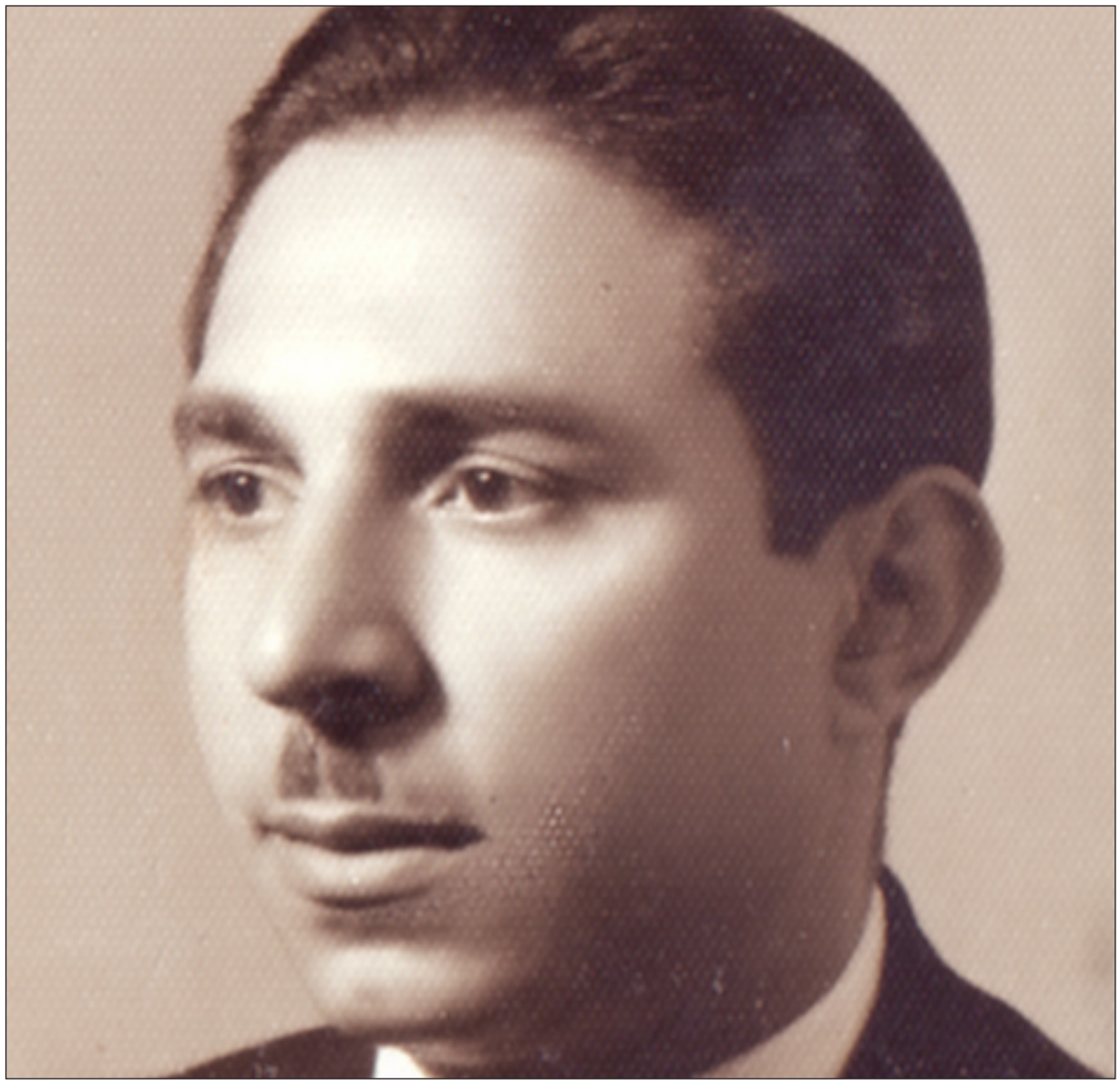

جعفر السعدي «أب» المسرح العراقي

د. فاضل خليل

حين تتناول الفنان في فالولي- الإبن ، فأنك تختصر الكثير من المسافات ، والكثير من المعاني ، لأن صفات الأولياء تسهل عليك عناء البحث عن معان سامية . لكن عليك أولا أن تحدد تلك الصفات في الأب ، وهل تصلح لكل الآباء ؟ إذا ما اتفقنا على أن ليس كل الآباء بنفس الصفات : لأن منهم من يمتلك الحرص والنصيحة ، ومنهم من لا يمتلك من الأبوة غير الحصافة ، وربما الحكمة مسبوغة بالتوجيه . وليس أسهل منها جميعا في صفات الآباء ، شرط أن تكون خالية من البخل ولا اقصد به بخل المال فقط – الذي يفسد الأبوة . ولك أن تطبق بعدها ما تريد وستجدها بكل بساطة مجتمعة في جعفر السعدي ومشروطة بخلوها من البخل بأنواعه ؟؟ ولصعوبة الخوض فيها جميعا . أراني مضطرا لاختيار صفتين فيه تفرد بهما هما صفتا : الحرص ، وعدم البخل على الأبناء . فلا أحرص منه على أبنائه سواء كانوا طلابه أو المتعاملين معه ، وان لم اك يوما ما نرجسيا إلا أني سأبدأ من واحدة من حكاياته معي : يوما اختارني بطلا لمسرحيته فعرس الدمف للوركا . كان بيته يبعد عن مسرح التمارين في أكاديمية الفنون الجميلة خمسين مترا لا أكثر ، ولأنه لم يكن يستغني عن القيلولة كان يجدول دروسه في الساعات الأولي من الصباح كي يكون في البيت بعدها مباشرة ليتناول طعام الغداء على عجل فيأخذ القيلولة التي يعشق ، لينام ثم ينهض نشطا بعدها ليأتي الى التمرين في الثالثة ظهرا وبقية خلق الله من الطلبة الممثلين يئنون من التعب . ولك أن تتصور تمرينا في ظهر العراق الذي تبلغ فيه درجة الحرارة خمسين مئوية في الظل . وفي قاعة لم يعرف التكييف العادي طريقه إليها ، وأنت فيها ممثل لاتملك بيتا وطعامك محسوب بالغرامات ، وعليك أن تؤدي تمرينا يرضى عنه الجميع ، لاسيما وأنت فالمقصود أناف فتحب النوم كما يحبه السعدي فالقيلولة ظهرا بعد وجبة غداء معقولة . وهي في حكم المستحيل هنا في بغداد بعيدا عن اهلك ومنزلك ، فالدوام رسميا ينتهي في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر كل يوم ، والتمرين في الثالثة ، أي انك تمتلك نصف ساعة لكل مستلزمات المواطنة والمطاولة في ماراثون مضن لتكون بعدها جاهزا للتمرين مع السعدي في (فعرس الدمف) . بمعنى أدق انك لاتملك الوقت للراحة أو الاسترخاء ، كي تكون مستعدا حقا لتمرين مثالي . تأخرت يوما عن التمرين مع السعدي خمس دقائق وفي رواية للسعدي أنها ربع ساعة بعد حملة تعنيف فيها قسوة الأب ، زعل علي وقاطعني دون أن يكلمني عاما ونصف العام ، لكنه ظل معي علي نفس المحبة ، وهي ميزة الآباء الحريصين على تربية أبنائهم . بعد ما يقرب من الأربعين عاما التقيت متحدثا عن تجربته في برنامج تلفزيوني ضيقه على الفضائية الشرقية ، ذكرته بما مضى وقلت له :

– عندما اخترتني بطلا لمسرحيتك "عرس الدم" و تأخرت عن التمرين خمس دقائق ، زعلت أنت علي وقاطعتني أكثر من عام ونصف العام ، ثم استبدلتني بممثل آخر ، ماذا قصدت من ذلك ؟

أجابني بكل صدق الأب الحريص علي ولده الذي ربما إذا سامحه عن خطأ قد يكرر الخطأ ثانية بآخر :

– لأنك ابني وأنا احبك لزاما علي أن أعلمك الصحيح ، إلا أني ورغم زعلي عليك استمر اعتزازي بك ، كنت احبك ، بل أحببت كل من درستهم ، فكلهم أولادي أقولها بكل صراحة .

وهنا ولست مستغربا من بساطة إجابته لأني أدري بالسعدي ، لكني هتفت فرحا لأني كنت قد تأكدت من تشخيصي له الذي أكد عندي فيه الأستاذ – الأب :

– إن عمقك في البساطة التي تتمتع بها أيها الجليل الجميل، وأنت هكذا دائما أستاذي وأبي .

واعتقادا منه أني بتذكيري له بمثل هذه الأحداث ، ربما أكون حاملا عليه فغيظا مستحيلاف فاسترسل قائلا :

– الشيء المهم الذي افتخر به هو أنكم أولادي .

ولجلج بضحكة هادرة تميز بها صوته القوي ، وهي دالته النبيلة التي تقع فيه ما بين طفولته وامتدادها ، وبين طيبته المتناهية التي لا تشبهها طيبة . وكان هذا رهاننا عليه دائما ، ثم أكمل:

– وهو المطلوب .واستمر بذات الضحكة التي لم تفارقه ، حتي أنه مات وهو يضحك ؟؟!! وقد يكون مات من الضحك . ربما ... لا بل من المؤكد انه مات من الضحك .

إذن هو أمر غاية في البداهة أن يتصرف فالأب ، المخرج ، الأستاذ حين يعنف فابنا ، ممثلا ، طالب مثلي بالطريقة التي تصرف بها السعدي معي : يوم استبدلني بآخر عقابا لي لتأخري عن التمرين ، وما همه فيما ستؤول إليه نتائج العمل المسرحي ، ولا إلي ما سيؤول إليه العرض بالنهاية . كما لم يأبه إلى من سيكون هذا البديل ، أهو اقل مني كفاءة وموهبة ، أم لا ؟؟ كل ذلك لكي ينتصر : للالتزام ، للأخلاق المسرحية أولا ، وللتربوي في الأستاذية ثانيا . كان هذا في مسرحية في فعرس الدمف لغارسيا لوركا . لم ينضبط عمله فيها أو يتمحور في اتجاه ولم يمل إلي نزعة "(١) هذا ماراه فعبيدو باشاف – الذي أخالفه الرأي – في كوني انطلق من إن السعدي يكاد يكون من القلة التي تمتلك صواب الرأي فأستاذا أكاديميا – كما وصفه الباشا . مضافا أن السعدي لم يأت من فراغ حين تعامل مع الحسي بعيدا عن المجاهرة ، وما همه في ذلك رأي الكثيرين ممن يتهمونه بالشكلاني الذي لاتهمه الجوانب الإبداعية في التعامل مع الجمال . بل هناك من يعتبره يفرط بالإبداعي والفني على حساب التربوي التعليمي – ورغم أن هذا أمر يفخر به هو – بل هناك من يرى إن " مسرحه البارد ، من مزيجه المتموضع بين الواقعية المشوبة ببعض عناصر الفنتازيا "(٢) . التي تحققت بفضل تعامله مع مجموعة متميزة من المصممين من أمثال كاظم حيدر في فالديكورف وامتثال الطائي في فالأزياء والحاج ناجي الراوي وماركريت العبودي في فالماكياجف وفاضل قزاز في الإضاءة .. وغيرهم . هذا الاهتمام غير العادي بالتقنيات ربما متأت من رغبته في دراستها في أمريكا عندما " اختير السعدي ضمن البعثة العراقية لعام ١٩٥٧ للتخصص في الإنارة المسرحية والسينمائية وبالنظر لعدم وجود هذا الفرع في الولايات المتحدة الأمريكية،فقد نسب إلي فرع الإخراج المسرحي "(٣) . مخرجا كان يعتبر التكامل الفني في العرض المسرحي إنما يأتي من الاعتناء بالمهمات – التي قد تبدو صغيرة في نظر الآخرين وما هي بصغيرة – مثل الاعتناء بالحوار من خلال الإصرار على ضبط اللغة العربية في أداء الممثل بل لقد كان يعتقد أن في ضبطها طريق للوصول إلي ضبط المكملات الأخرى لكامل مقومات العرض المسرحي ، والسبيل الأهم في الأداء لوصول غاياته وبلاغه ووصول خطابه إلى المتلقي . وكان من مقاييسه في نجاح أي عرض هو في نجاح ممثليه في ضبط لغتهم والتمكن من حوارهم – لذلك كان يطلب في الكثير من الأحيان أن يقوم بتدريس مادة الصوت والإلقاء لطلبة الصفوف الأولى انطلاقا من أن التعلم في الصغر كالنقش علي الحجر كان احترامه بالغا للممثلين الذين يعتنون باللغة ويعتبرهم من أهم الممثلين . على أن نعرف بأن الشائع في مسرحنا أن أهم الممثلين فيه كان ينقصهم ضبط اللغة العربية ، لكن مع الحاج السعدي صار قسم كبير من الممثلين يهتم في ضبط اللغة و " ثمة خصلة يتحلى بها السعدي ، هو إدراكه

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

لخطورة اللغة الفصحي ف.....ف أما فيما يتعلق بالأسس التي يجدها حاسمة في عمله النظري والتطبيقي فهي : الوضوح ، والبساطة ، والجمال ف.....ف بالحوار والحركة والإيماءة ووضوح الأفكار "(٤) اكثر مما كان يعنيه تحقيق الدهشة في الصورة المسرحية من حيث تشكيلها ووضعها ضمن تنسيق الفضاء المسرحي في التكوين والتشكيل والابتكار . وقد بالغوا فيما ذهبوا إليه لأنه كان يعتني بمكونات الدهشة وعلى سبيل المثال تأكيده أهمية فالإيقاع في العرض المسرحيف .

كانت دفعتنا في الدراسة تتكون من خمسة عشر طالبا يتراوح طموحهم بين ، المهووس بالمسرح ، وبين الذي يعتبر المسرح متنفسا لطرد كل ذنوبه في دنياه . وهو ما تعلمناه توا فحين كنا في المرحلة الأوليف الـ catharsis – ومعناه فالتطهير . قاتلنا لكي نعرف معني فالإيقاع لكثرة ما كان يحكي بها كل من أراد أن يوضح لنا سخفنا ، أو لكي يعطينا علامة لفهمه . فكان لإلحاحنا علي أستاذنا السعدي أن يعرفنا بفالإيقاعف وما تعنيه الكلمة . كان يومها يدرسنا فالصوت والإلقاءف وكنا نأخذ الدرس علي مسبح المعهد في الهواء الطلق ، وكنا ندور حول فحوض السباحةف كنوع من عمليات فالإحماءف علي طريقة الرياضيين ، نهرول مع إلقائنا الحوار . وفي إحدي الاستراحات ألححنا عليه أن يبدا بشرح الإيقاع – مؤرقنا – ، فما كان منه إلا أن يبدأ وبطريقته الأبوية المعهودة بتسهيل كل الصعب :

السعدي : إن الإيقاع يا أولادي هو الوحدة الزمنية المحسوبة بين أمرين على سبيل المثال أشعار أحمد شوقي في مسرحيته ف مصرع كليوباترة كما في بيت الشعر هذا :

أسطولها إلى مراسيه أوي وجيشها ألقي السلاح ، ونجا

التي عند تقسيمها إلى وحدات فستكون:

أسطولها / إلى مراسيه أوى / وجيشها أل / قي السلا / ح ، ونجا

ح ، ونجا

ح ، ونجا

واستمر بتكرار فح ، ونجاف حد أننا أخذنا المسبح بتظاهرة ونحن نهتف بالوحدة الإيقاعية فح،ونجاف مع الضحك والمتعة العالية . ولان نحن طلاب تلك الدفعة كلما التقينا تذكرنا الـ فح،ونجاف ونغرق بالضحك .

ولو عدنا لنقاش هذا الدرس بعقلانية اليوم ، لا بالحالة الارتجالية الصبيانية التي كنا عليها ، آنذاك يوم كنا طلابا – وهي حالة طبيعية – لوجدنا أنها كانت درسا بليغا بل غاية في الأهمية . استطعنا من خلاله معرفة ما كان يعنيه الإيقاع فعلا و بشكله العلمي . حين كان يشقى الكثيرون ويعجزون ، ممن لا يمتلكون خبرته وصدقه في إيصال المعني بالتبسيط الذي سلكه السعدي في إيصاله إلينا وببساطته المعهودة . فحق أن نصفه بالسهل الممتنع أو .. فالعمق في البساطة.

حين تطيل النظر في عينيه ، أو تختصره ، فلن ترى منه إلا القلب الذي يحمل الإنسان فيه . لقد خَرج أجيالا من المبدعين ، ما يكن ينظر إليهم طلابه فقط ، بل كان يحسبهم أولاده . وحتي لو تقدم بهم الزمن وكبر الأولاد ، عمرا ، أو فنا ، يظلون في نظره أولاد الأمس : فيوم عاد فد .عوني كرومي من دراسته للمسرح في ألمانيا وهو يحمل شهادة الدكتوراه ، وقد اصبح بعدها أستاذا في أكاديمية الفنون الجميلة/ قسم المسرح الذي كان يرأسه آنذاك جعفر السعدي . وبحكم العمل ، احتدم النقاش يوما بينهما جدا ، جعل السعدي يبدأ بتعنيف عوني بأبوية وبصوت عال ، تماما كما لو كان عوني طالبا كأيام زمان ، وليس أستاذا كما كان عليه حينها . الأمر الذي جعل عوني يترك المكان حزينا حد البكاء . فما كان مني وكنت جالسا يومها – شاهد عيان – إلا أن أتدخل ، فقلت له :

– أستاذ جعفر ، انك تعامل د.عوني وكأنه طالب الأمس لديك ؟ لاتنس ، فنحن أولاد اليوم قد كبرنا وصرنا أساتذة مثلك – وحتى لو كنا لازلنا طلاب الأمس لديك ، لكنا الان زملاء لك ولا يجوز أن تعاملنا بهذا الشكل .

فما كان منه إلا أن نظر إلي بعين تكاد تدمع لفرط العطف والمحبة والاحترام ، ليجيبني بكل هدوء و حنكة :

– ابني مهما كبرتم وصرتم فأنا لا انظر إليكم إلا أولاد الأمس الأعزاء الذين افخر بهم وبعلمهم اليوم ، لكني اعتبركم مهما كنتم قد بلغتم لستم إلا ما يعنيه قول الشاعر احمد شوقي في مسرحيته فمجنون ليليف :

– لم تزل ليلى بعيني طفلة
لم تزد عن أمس إلا إصبعا

فأسكتني بقناعة ، رحت بعدها اعتذر له خجلا قبل عوني الذي ذهبت إليه أعنفه: كيف تجرأ فتزعل الأستاذ جعفر ، بل كيف تترك المكان هكذا . واعترف كلانا بخطئه هو في زعله وتركه المكان ، وأنا لعتابي عليه ، فذهبنا إليه معا لنقبله ، ولنعتذر منه .

هو " واحد من المربين الأساتذة الذي عمل أولا كأستاذ، ثم جرب هذه الأستاذية في المسرح علي صعيد الإخراج " . لقد كان الأستاذ ولم يكن المخرج في الحرفة ، أي ، الـ profitonalف . لقد اهتم بالتربية قبل الفن ، اهتم بها لاعتقاده إن امتلاكها هو الذي يصنع الفنان . لأن أية موهبة مهما علت حين تبتعد عن التربية وأصولها ، تظل بعيدة عن امتلاك الخاصية الأهم في الفن : فالأخلاق التي بدونها تصعب الحياة وتموت الموهبة مهما عظمت ، ولا يكون الفنان– بدونها – فنانا . لم يكن ليخفي انه تربوي أولا ومنذ سنينه الأولي في الفن ، حين يقول :

– "عندما كنت طالباً ومدرسا مخرجا في معهد الفنون الجميلة ، أخرجت العشرات من المسرحيات ومعظمها كانت من تأليف أحمد شوقي " .

باب المسرح

متعمد أنا ، حين حصرت قوله في مدرسا مخرجا بين قوسين لأؤكد بها توصيفه لنفسه . ذلك التوصيف المطابق لمحتوى المبحث الذي نحن فيه . ولأنه لم يكن يعد الاعتراف بها مثلبة كما هو شأن الآخرين ، بل لا أبالغ إن قلت انه كان يتباهي ، حين ينطلق منها للصدق الذي يتمتع به ، والزهد الذي يتصف به حد التماهي . فلم يعد نفسه في الفن إلا فهاويا وكل المحيطين به محترفون لها ، بل الأهم منه في الصنعة ، وهذا في رأينا مناف جدا للحقيقة . كما يؤمن بأن صفة فالفنان أمنية بعيدة المنال ، لا يحظى بها إلا النادر من مستحقيها ، وهو زهد آخر مبالغ فيه . لأنه ما فكر يوما في أن يقدم الفن الى الناس لقاء ثمن ، فالثقافة– في مفهومه – لا تكال بمكيال وهي تهدي مثل النصيحة . على أن نعرف بأن معاناته لخلق جمهور للمسرح ما قلت عن معاناته لخلق ممثلين وفنيين ومصممين وباقي مستلزمات العمل المسرحي ، وله حديث عن الجمهور الذي لم يعرف طريقه إلى المسرح خلال عرض مسرحي كان من إخراج بهنام ميخائيل ، وكيف انه وقف في طريق المارة على باب المسرح يدعوهم لمشاهدة العرض فلم يجد غير بائع الشلغم الذي دعاه بقوله : "لماذا لاتدخل وتتفرج"– وحسبه– انه دخل وحده وجلس السعدي الى جانبه جمهورا لذاك العرض . لكن وفي العرض الذي تلاه بدأ البعض من الجمهور ونتيجة التثقيف الذي مارسوه عليه أن يتوجه إلي المسرح ، وبالتدريج بدأوا يألفون المسرح ، حتي انهم وفي مسرحية فعطيلف التي أخرجها جاسم العبودي ، بدأ الجمهور يطلب التذاكر قبل العرض بأيام ، حتي أنها أصبحت تباع في السوق السوداء . كان هذا في مسرح معهد الفنون الجميلة فالمكان– المحراب ، المسرح الذي يعمل فيه وهو فالأستاذ الموظف في الدولة الذي يتقاضي عن وظيفته راتبا . وعليه فأن مبالغ التذاكر ممكن ان تنفع في إنتاج مسرحية أخري بعد أن يتوزع قسم منها بين الطلبة الفقراء من الممثلين والعاملين . وحسب السعدي انه ، وحتى العام ١٩٧٩ لم يتسلم من المسرح أي مبلغ ، بل يقول :

– نحن من كان يصرف على المسرح . والمرة الأولى في حياتي تسلمت فيها مبلغا لقاء عملي في المسرح كانت عن عملي في مسرحية فنفوس ، المعدة عن مكسيم غوركي والتي أخرجها قاسم محمد لفرقة المسرح الفني الحديث . عندما ضيفتني الفرقة وقتها ، وقدمنا العرض على مسرح بغداد. فقدموا لي بعد العرض أجرا كان ٥٦ دينارا ، وهي المرة الأولي في حياتي أتقاضي فيها أجرا من عملي في المسرح . أما قبلها فعلى العكس كنا نستقطع من رواتبنا نهاية كل شهر كي ندفع إيجار مقر الفرقة ، وبعض المستلزمات التي يتطلبها العمل المسرحي فيها .

ولعن الزمن الذي اصبح فيه المسرح يدفع الأجر للفنان عن جهوده التي يبذلها في المسرح– وهو رأي غاية في الزهد – وهذا يتقاطع مع طبيعة العمل في المسرح بشكل عام ، هنا ، وفي كل بقاع الدنيا . لكن له حساباته في ذلك ، فهو يعتقد أن المال أفسد الفنان فساق المسرح إلي منزلق التجارية فصار فمسرحا تجاريا. أما أهم الذي أخذه فهوف من الفن فليس اكثر من بعض الرضا عن النفس في إشباع رغبته منه ، يوم قرر كسر المألوف في مدينته الدينية الصغيرة التي كان يقطنها ، ف الكاظمية، التي صنع علي ساحلها المطل على دجلة مسرحا من القصب ، قدم عليه عروضا بسيطة مع ثلة من الهواة من أبناء مدينة الكاظمية . وكانت هذه هي الطريقة التي بواسطتها ، استطاع أن يحرر مدينته من قيود التزمت التي كانت تحكمها . ولنا أن نعرف أن جعفر السعدي ، قد ارتقى المسرح للمرة الاولي عام ١٩٣٤ عندما كان تلميذا في مدرسة المفيد الابتدائية في الكاظمية ، أما أول مشاركة مسرحية له خارج حدود المدرسة فكانت في العام ١٩٣٧ وكان شابا يافعا وقد قام بدور صغير في مسرحية عنوانها فمظالم الاستعمارف تحكي عن دور النضال الليبي ضد الاستعمار آنذاك . كان يغلب علي عروضهم الطابع الوطني ، فقد نشأ جيل السعدي علي حب العراق الذي كان مستعمرا من قبل الإنكليز فقدموا مسرحية كبيره– حسب السعدي– عنوانها فمثلنا الأعليف وكانت الحركة الوطنية في اوجها وكان الفنانون منها في الطليعة يدعون لمحاربة الاستعمار . وقد يكون هذا الهاجس هو الذي دفعه مع مجموعة من خريجي معهد الفنون الجميلة عام ١٩٤٧ فقرروا تشكيل فالفرقة الشعبية للتمثيلف . وكانت حافزا لتشكيل فرق أخري في بغداد . وقد حاولت هذه أن تسعى جاهدة على إعطاء السمات المميزة للمسرح العراقي التي تفرقه عن سمات المسرح في بقية الأقطار العربية . لم يكن في العراق يومها إلا مسرح واحد ، هو مسرح الثانوية المركزية . حتى العام ١٩٥٠ ، حيث شيدت فقاعة الملك فيصلف ، وألتي تحول اسمها بعد ثورة ١٤تموز ١٩٥٨ إلي فقاعة الشعبف .لقد قدمت الفرقة الشعبية للتمثيل علي هذا المسرح مسرحية ففلوسف للكاتب التقدمي التركي فناظم حكمت. وكانت المسرحية– حسب السعدي – طويلة ، وتحتوي على ٦ أدوار نسائية ، في الوقت الذي كان فيه الحصول على ممثلة واحدة في العراق يعد من ضروب المستحيل. ومع ذلك تم تذليل هذه الصعوبة بهمة السعدي ومجموعة الممثلين الهواة الذين رافقوه ، وكان من بينهم سامي عبد الحميد الذي يقول : " إن الأستاذ السعدي من اكبر المسرحيين على الإطلاق ، تعرفت عليه في بداية الخمسينات ، عندما أحيا الفرقة الشعبية للتمثيل ، أتذكر انه استدعاني للتمثيل في مسرحية ففلوسف وكان معي مجموعة من الهواة وقدمت في قاعة الشعب ولمست منه الإخلاص والحماسة" . ومما تجدر الإشارة إليه ، إن هذه المسرحية التي لاقت استحسان من شاهدها من الجمهور ، ولم تلق استحسان السلطة التي يرأس حكومتها آنذاك نوري السعيد ، وذلك بسبب دعوتها إلى الاشتراكية . في الوقت الذي كان فيه حرف الـ فشينف من الاشتراكية ممنوع فكيف بالاشتراكية كلها– حسب السعدي – ، فحاصرت الشرطة المسرح بعد أن أوقفت العرض ، وذهب الجميع إلى بيوتهم . لقد " نشأ مسرحنا في أحضان السياسة ومن خلاله عكسنا تمسكنا بالوطن والامة والإنسان وهذه هي ميزة المسرح العراقي" . وظل الهاجس الوطني ، ملازما له حتى آخر عمل قام بإخراجه وهو مسرحية فرقصة الأقنعة للشاعر العراقي شاكر السماوي وكان لهذه المسرحية أيضا قصة ومعاناة طويلة – كما يصفها السعدي – لأنها شهدت خروج نصف الممثلين العاملين فيها من العراق باتجاه المنافي ، كان ذلك قبل موعد تقديمها بأسبوع واحد الأمر الذي اضطره إلى الاستعانة بزوجته التي كانت قد حفظت الدور النسائي الرئيسي في المسرحية وذلك بسبب حضورها اليومي الى التمارين– وهو محض مصادفة– لقد كان الدور مسندا للفنانة فودا سالمف التي غادرت العراق باتجاه بلغاريا ، كما استعان بأبنائه ، وبعض الأصدقاء من الذين ساعدوه على تقديم المسرحية بنجاح.

كانت دفعتنا في الدراسة تتكون من خمسة عشر طالبا يتراوح طموحهم بين ، المهووس بالمسرح ، وبين الذي يعتبر المسرح متنفسا لطرد كل ذنوبه في دنياه . وهو ما تعلمناه توا فحين كنا في المرحلة الأوليف الـ catharsis - ومعناه فالتطهير . قاتلنا لكي نعرف معني فالإيقاع لكثرة ما كان يحكي بها كل من أراد أن يوضح لنا سخفنا ، أو لكي يعطينا علامة لفهمه . فكان لإلحاحنا علي أستاذنا السعدي أن يعرفنا بفالإيقاعف وما تعنيه الكلمة .

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

صباح المندلاوي

جعفر السعدي

صفحات من الريادة في المسرح العراقي المعاصر

جعفر السعدي من هو؟

هو من مواليد الرابع والعشرين من كانون الاول عام ١٩٢١ نشأ وترعرع في احياء الكاظمية (مسقط رأسه) ودرس في مدرسة المفيد الابتدائية وبعدها انتقل الى متوسطة الاعظمية. ومنذ ان كان صبيا يافعا دون ان يتجاوز الرابعة عشرة من عمره راح يشارك في الاعمال المسرحية، واذ عاد الفنان الرائد حقي الشبلي من باريس بعد دراسته المسرح فيها، وكان يستعد لاخراج مسرحية – فتح الاندلس– وهي مسرحية شعرية، قام بجولة في المدارس المتوسطة في بغداد لغرض اختيار الطلبة الموهوبين والاستفادة من قدراتهم وامكانياتهم في عمله المسرحي انف الذكر زار متوسطة الاعظمية ومن بين من وقع اختياره عليهم الفنان جعفر السعدي و قدمت المسرحية في الجامعة الدينية في الاعظمية مقابل المقبرة الملكية وقد تركت اصداء ناجحة.

واذ كان السعدي يتهيأ لدخول المدرسة الثانوية حدث ان اصيب ابوه بمرض فاضطر الفنان الراحل ان يجد عملا لاعالة تسعة اشخاص كانت وظيفة بسيطة الراتب اربعة دنانير وربع. كان ينوي دخول الثانوية المسائية ومن سوء الطالع ان المدارس المسائية قد اوصدت ابوابها وكان ذلك في زمن فاضل الجمالي.

كانت مفاجاة سارة يوم ارسل حقي الشبلي طالبا حضوره وبعد ان عرف عنوانه . وخلال اللقاء به اقترح عليه دخول معهد الفنون الجميلة الفرع المسائي كان لتوه يعمل موظفا ومعيلا لعائلته، فأضطر لدخول المعهد مجبراً لامخيراً.. وكما يقول الراحل في اكثر من جلسة (اني ممثل رغما عنه).

في المعهد يمضي خمس سنوات يقدمون خلالها اعمالاً منوعة ومشاهد، ومن بين مايقدمه الطلبة والاساتذة مسرحية (شهداء الوطنية) ومسرحيات شوقي (مجنون ليلي) . (كيلو باترا) مشاهد من المسرحيات المتوفرة انذاك

احيانا ترتب المشاهد على شكل فصل كامل او مشاهد متداخلة.

ولابد من الاشارة ايضا انه وقبل دخوله المعهد بستة اشهر كانت هناك جمعية بيوت الامة ولها فرع في الكاظمية . كان ذلك في عام ١٩٤٠ في هذا العام كان الرمد الصديدي قد انتشر بصورة مرعبة الكثير من العيون اصابها الاذي بسبب غياب الوعي الصحي انذاك.

هذه الجمعية بادرت مشكورة وقامت بفتح مستوصف ومدرسة مسائية يخصص مايرد اليها من اجور لغرض مساعدة المستوصف وتوفير الادوية والمستلزمات الطبية.

يومها شكلت الجمعية فرقة مسرحية وكان الفنان الراحل يتولى ادارتها ورئاستها.. واول عمل اختارته الفرقة هو (ابو ذر الغفاري) تأليف علي الوردي لكنها منعت والاسباب معروفة يومها. الفرقة لم تتوار عن الانظار او تختف. بل حاولت البحث عن مسرحيات جديدة ومتوفرة في الاسواق ومنها مسرحيات توفيق الحكيم لغرض تقديمها في الصيف ولدعم مشروع المستوصف.

في عام ١٩٤٧ يؤسس الفرقة الشعبية للتمثيل وهي ثاني فرقة يتم تأسيسها بعد عودة حقي الشبلي من باريس . وفي عام ١٩٤٨ يتعرف الي زوجته الفنانة الراحلة ماجدة عبد القادر في مسرحية (القبلة القاتلة) التي قدمت في الثانوية المركزية وكان يومها شقيقها عدنان عبد القادر احد الطلبة في الثانوية المركزية ويمثل دور البطل في المسرحية كان ذلك اول لقاء معها ومع اخيها.

تستمر العلاقة بينه وبين افراد اسرتها ويعاد تقديم (القبلة القاتلة) من خلال الفرقة الشعبية للتمثيل.والتي تضم مجموعة من خريجي معهد الفنون الجميلة.

في عام ١٩٥٢ يخرج مسرحية (فلوس) للكاتب التركي عبد الله فاضل، وتشارك الفنانة الراحلة ماجدة السعدي مع افراد عائلتها في المسرحية. تتعزز العلاقات فيما بينهم برغم انه من سكنة الكاظمية وهم من سكنة باب الشيخ. الحس الوطني والوعي السياسي هو القاسم المشترك بينهم والكل يتطلع لخير البلد وتقدمه واستقراره.

خلال هذا العام يعين في دار المعلمين العالية واذ يخرج مسرحية (في سبيل التاج) للمنفلوطي واذ يتطلب الامر تعليق الديكور في سقف المسرح يبادر احد الطلبة لذلك لكن السعدي ومن منطلق المربي الفاضل والحرص علي طلابه وخشية سقوطه يطلب منه النزول ليصعد بدلاً منه، واذ يعلق جانبا من الديكور يحدث ان يسقط ارضاً وتنكسر يده ويخضع للمعالجة الطبية لسنوات مابين بغداد ولندن. برغم سفره تظل علاقته مستمرة مع (ماجدة) واشقائها عبر الرسائل

في عام ١٩٤٧ يؤسس الفرقة الشعبية للتمثيل وهي ثاني فرقة يتم تأسيسها بعد عودة حقي الشبلي من باريس . وفي عام ١٩٤٨ يتعرف الي زوجته الفنانة الراحلة ماجدة عبد القادر في مسرحية (القبلة القاتلة) التي قدمت في الثانوية المركزية ويمثل دور البطل في المسرحية كان ذلك اول لقاء معها ومع اخيها.

وحينمايعود الي بغداد يقرر الاقتران بها، كان ذلك في عام ١٩٥٦ وهي في العشرين من عمرها لانها من مواليد ١٩٣٦ ويكبرها بخمسة عشر عاما وهو الزواج الثاني في عمر الفنان الراحل، ومنذ ذلك اليوم وحتى رحيلها شاركت في الكثير من الاعمال المسرحية والتلفزيونية يكفي انها قبل الانتخابات الاولي بعد سقوط الصنم وباسابيع وضمن الحملة الدعائية للانتخابات في اواخر كانون الثاني ٢٠٠٥ كانت تظهر يوميا على الشاشة الصغيرة ومع الفنان المبدع مكي البدري من الطبيعي هناك فترات كانت تمضي الوقت مشغولة مع ابنائها ترعاهم وتسهر على راحتهم خلال العقود الستة الماضية يشرف السعدي على صقل مواهبها وقدراتها بدءا يوم كانت في عمر الزهور وحتى يوم اصبحت جدة ولها احفاد افضل اعمالها (الانسان الطيب) لبرشت واخراج عوني كرومي تقديم فرقة المسرح الشعبي وبمشاركة فرقة المسرح الفني الحديث.

عمل اخر بدت متميزة فيه الا وهو (رقصة الاقنعة) تاليف شاكر السماوي وهو اخر عمل للفنان الراحل في ميدان التمثيل والاخراج المسرحي. لم يكن الدور مسندا لها في الاصل كانت الفنانة وداد سالم هي التي تمثل دور البطلة واديب القليه جي يمثل دور البطل وهناك الفنان عدنان الحداد والفنان غانم بابان. كان ذلك في عام ١٩٧٩ واذ يقترب موعد عرض المسرحية وقد اعلن عن ذلك عبر الصحف المحلية ربما بأسبوع واحد، واذا بـ (البطل) و(البطلة) قد غابا عن

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

العمل.
افراد اسرة الفنان الراحل كانوا يحضرون يوميا لمشاهدة البروفات، يتكرر الغياب لايام فيسأل الفنان السعدي: ترى اين هم؟ ويأتيه الجواب سريعا: بان الممثلة تعاني وعكة صحيةوقد اخذها زوجها الى الموصل لغرض العلاج. موعد العرض يقترب شيئا فشيئا ذات يوم يهمس احدهم في اذنه بان كلا من الممثل والممثلة قد سافرا الى الخارج هربا من الملاحقات والمضايقات من قبل رجال الامن وجلاوزة النظام.
حينها تبدي زوجته الراحلة – ماجدة – استعدادها لانقاذ الموقف وحقاً تؤدي دور المراة بدلا من وداد وهو يؤدي دور الرجل بدلا من اديب يبذلان من الجهد مايفوق طاقتهما لكي يخرج العمل الي النور. وفي الموعد المحدد ترفع الستارة عن العمل يومها يكتب الناقد الراحل علي جواد الطاهر عن المسرحية ويشيد بها وهي شهادة تظل مبعث اعتزازهم حقا خلال مدة قياسية تحفظ الدور وتؤدي البطولة وتنجح وبصورة باهرة.
هذا فضلا عن مشاركاتها الكثيرة في ميدان التلفزيون. في عام ١٩٥٧ وبعد تمثيله لدور الاسكافي في فلم (سعيد افندي) عن قصة بعنوان – شجار – لادمون صبري واخراج الفنان الراحل كاميران حسني وتمثيل الفنان الرائد يوسف العاني والفنانة القديرة الراحلة زينب والفنان الراحل عبد الواحد طه. يسافر الى الولايات المتحدة الامريكية لنيل شهادة الماجستير في الاخراج المسرحي ومن معهد الفنون بشيكاغو.
وفي امريكا تلتحق به زوجته الراحلة وتكثر زيارات العراقيين هناك لهم وطلباتهم للاكلات العراقية وتكون سببا في ضعف تعلمه اللغة الانكليزية التي لاريب ان الاختلاط بالاجانب يؤدي دورا في اجادتها وإتقانها. تصاب زوجته بالكآبة وبفعل اغترابها عن الوطن يستدين مبلغا من المال من الاستاذ الراحل بهنام ميخائيل لكي تعود الي الوطن واذ تصل بغداد ليلا تندلع في اليوم التالي ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨.
بعد سفرها يتفرغ للدراسة وتتحسن لغته الانكليزية لكنه لم يطق الغربة.. ومن جديد يرسل بشأنها ويضطر لاستدانة مبلغ آخر. كان يتقاضى حينها ٢٥٣ دولارا شهريا. يتقشف في مأكله ومشربه لكي يسدد مابذمته من ديون يعاني الكثير وترهقه اجور السفر لزوجته وابنته مي . في مطلع الستينيات وبعد نيله شهادة الماجستير يحمل حقائبه صوب الوطن ويتولى تدريس التمثيل والاخراج في معهد الفنون الجميلة وفيما بعد في اكاديمية الفنون الجميلة.
خلال سنوات دراستي في اكاديمية الفنون الجميلة قسم المسرح مابين ١٩٦٨– ١٩٧٢ اتعرف اليه عن قرب فاذا به ينبض بالطيبة والمودة والتواضع والشعور العالي بالمسؤولية استاذا جليلا ومربيا فاضلا محط تقدير واعتزاز الطلبة والاساتذة على حد سواء.
واذ يخرج في عام ١٩٧٠ مسرحية (عرس الدم) للشاعر الفذ والكاتب الاسباني لوركا وتمثيل طلبة الاكاديمية تتاح لنا ولطلبته فرصة التعرف علي اسلوبه في العمل وطريقته في الاخراج والتي تعتمد الواقعية منهجا دون اغفال اللمسات التجريبية والتجريدية. قدمت المسرحية من على قاعة الخلد ببغداد ومازلت اذكر جيدا الديكور الجميل والمعبر الذي صممه الفنان المبدع الراحل كاظم حيدر لهذه المسرحية.
خلال عملي في فرقة مسرح اليوم في عقد السبعينيات وهي التي تجاور فرقة المسرح الشعبي في عمارة الطريحي – شارع السعدون كنا بين الحين والحين نلتقي في الممرات او داخل المسرح الشعبي نتبادل التحيات وقد اوجه له سؤالا يشغلني عن المسرح العراقي وتاريخه فيجيب بكل رحابة صدر وحسب مايعرفه او يتذكره على سؤالي.وهنا استرجع ماقاله ذات مرة وبصوته الاجش وبعد تخرجه من معهد الفنون الجميلة اواسط الاربعينيات (لم يكن في بغداد سوي مسرح واحد مسرح صغير في الثانوية المركزية، وعلي مقربة من شرطة السراي وهو مايقدم علي خشبته من اعمال سواء من قبل الطلاب ام الفرق الوافدة من مصر.
اما في الكاظمية فيستعان بالطلبة صيفاً لتاجير (التخوت) من المقاهي او لوحات خشب وباسعار زهيدة نحملها على الاكتاف والي المدرسة لنصنع منها خشبة مسرح.
عام ١٩٤٧ بادرنا انا ومجموعة من خريجي معهد الفنون الجميلة، لتأسيس الفرقة الشعبية للتمثيل وكانت باكورة اعمال هذه الفرقة مسرحية (شهداء الوطنية) وقد قدمت من على قاعة الملك فيصل ولاحقا في عام ١٩٦٥ نطلق اسم المسرح الشعبي علي فرقتنا وبعد صدور قانون الفرق التمثيلية عام ١٩٦٤ وتضم الهيئة الادارية كوكبة من الفنانين منهم عبد الكريم هادي الحميد وعبد الستار البصام وكمال عاكف وكاظم الزيدي).

جعفر السعدي

أكثر من نصف قرن في المسرح العراقي

عبد الخالق كيطان

لم يكن الفنان جعفر السعدي اسماً عابراً في تاريخ المسرح العراقي أبان بداياته العلمية الأولى، كما لم يكن السعدي طيلة عقود القهر العراقية الأخيرة من المحسوبين على تيار غير تيار المسرح الجاد والقريب من هموم الناس بشكل خاص. وبالرغم من ذلك كان السعدي يغيب طويلاً عن مشهد المسرح في العراق حتى يتم تذكره من بعض القائمين على المشهد فيحتفى به احتفاء لا يناسب قامته الكبيرة، ولكن وزارة الثقافة العراقية الجديدة انتبهت لنخب الثقافة العراقية المغيبة في العقود السابقة فبدأت برنامجاً طموحاً لتكريم هذه النخب، وسيكون الفنان جعفر السعدي شخصية الشهر الحالي في الوزارة.
بدايات الفنان جعفر السعدي الأولى كانت مبكرة حقاً وهي تعود إلى العام ١٩٣٥ عندما كان طالباً في متوسطة الأعظمية، وهو يقول عن تلك المرحلة المبكرة من حياته: (كنت أسكن في الأعظمية آنذاك وشعرت بجموح في داخلي، وكنت من أسرة أغلب رجالها من المعممين وكانت المجالس الدينية لا تنقطع في بيتنا والبيوت المجاورة، وقررت برغم ذلك أنا ورفاقي وبمساعدة أحد أقربائي وهو الدكتور عبد الله الصراف، الذي كان يعمل سكرتيراً لنقابة هواة التمثيل في العراق، استحصال الموافقات الرسمية لنقدم عملنا الأول ضمن منهاج فرقة نقابة هواة التمثيل ، حيث كنا نقدم أعمالنا في المدارس والجمهور كان يجلس على تخوت المقاهي التي نقوم بتأجيرها وكذلك التخوت التي نجلبها من بيوتنا بالرغم من معارضة أهالينا...) ويضيف الفنان جعفر السعدي مستذكراً تلك المرحلة من حياته المسرحية بالقول: (في العام ١٩٤٠ وعندما تأسست جمعية بيوت الأمة، افتتحت الجمعية مدارس مسائية ومستوصفاً ولكي تحصل على موارد مالية قامت الجمعية بتأسيس فرقة مسرحية وأنيطت إدارة شؤونها لي شخصياً فقدمنا في هذا الإطار العديد من المسرحيات العربية والعالمية مثل: نهر الجنون لتوفيق الحكيم ووفاء المسؤول وغيرهما ...(
ويذكر المؤرخ العراقي الراحل أحمد فياض المفرجي في كتابه (الحياة المسرحية في العراق) أن الفنان جعفر السعدي كان أحد الأعضاء البارزين المؤسسين في (الفرقة الشعبية للتمثيل) عام ١٩٤٨ وضمت الدفعة الأولى من خريجي فرع التمثيل بمعهد الفنون الجميلة، إضافة إلى عناصر أكثر وعياً من الذين عملوا في السابق في فرق أخرى ومن هؤلاء عبد الكريم هادي الحميد وعبد القادر توفيق وابراهيم جلال وعبد الله العزاوي وصفاء مصطفى وعبد الجبار توفيق ولي وصبري الذويبي وخليل شوقي وعبد الستار توفيق وجعفر السعدي.. وكانت باكورة انتاج الفرقة مسرحية (شهداء الوطنية) التي أخرجها الفنانان ابراهيم جلال وعبد الجبار توفيق ولي .منذ ذلك

التاريخ ارتبط اسم الفنان السعدي بالمسرح الشعبي في العراق، وكانت فرقته، المتوقفة عن الانتاج منذ سنوات، فرقة المسرح الشعبي، تعد واحدة من أبرز الفرق المسرحية الأهلية في العراق، فهي استطاعت تقديم العديد من الأسماء البارزة في المشهد المسرحي بنتاجات مؤثرة، كان من أبرزها ما قدمه الفنان عوني كرومي، ونخبة من الشباب المسرحي.. في الوقت الذي سمي فيه السعدي أباً روحياً للفرقة في سنواتها المديدة، وكانت قاعتها، مسرح الستين كرسي، قد تحولت إلى ما يشبه المنتدى الخاص لشباب الفرقة الذين يبحثون عن فرصتهم وتأبى مؤسسات الدولة أنذاك منحها لهم ! .
وبالرغم من بدايات السعدي في الإخراج المسرحي إلا أنه سرعان ما استقر ممثلاً في المسرح والسينما والتلفزيون ، ورسخ في أذهان المشاهدين بكونه واحداً من رواد التمثيل في العراق.. أول مشاركاته السينمائية كانت في فيلم عليا وعصام، وهو بالمناسبة أول انتاج سينمائي عراقي، كما اشترك فيما بعد بالفيلم العراقي الشهير (سعيد أفندي) مع الفنان يوسف العاني.. أما في الدراما التلفزيونية، فكان دوره لافتاً ومؤثراً في المسلسل العراقي النادر (الذئب، النسر وعيون المدينة) عندما ظهر بشخصية الفضولي عبد الله السلمان وصارت جملته (عجيب أمور غريب قضية) لازمة عراقية بامتياز .
انقطع السعدي مبكراً عن المسرح في العراق، وبخاصة بصفته مخرجاً، فهو لم يخرج أية مسرحية للفرقة القومية للتمثيل منذ تأسيسها في العام ١٩٦٩ ولحد الآن على سبيل المثال، وكان دائماً ما يردد أن الزمن تغير، ولقد قال مرة: اخفي في داخلي بركاناً بشرياً ، كماً من التوتر مهول، يكاد يحطمني لشد ما أكتمه محاولاً السيطرة عليه بقوة التجربة، ولما سألت السعدي عن تصريحه هذا في حوار صحفي قال لي: كنت أقصد عشقي لخشبة المسرح، وأمنيتي الصعود مجدداً إلى هذه الخشبة المقدسة، ولكن ما باليد حيلة، يضيف السعدي، فالمسرح الذي عرفته وتربيت عليه ليس هو المسرح الذي أراه الآن.
عمل الفنان جعفر السعدي مدرساً في معهد، ومن ثم أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد لسنوات طويلة، وظل مواظباً على التدريس ولو بصفة محاضر، حيث تخرج من بين يديه المئات من الكوادر المسرحية العراقية والعربية.. وهو يرى في استمراره بالتدريس لذة لا تعادلها سوى لذة الصعود إلى خشبة المسرح.. أما أهم التكريمات التي حصل عليها في مسيرته الطويلة فكانت في العام ٢٠٠٠ عندما دعي لمهرجان تكريم الرواد العرب ، ووقف إلى جانب العراقيين يوسف العاني وعادل كاظم وسامي عبد الحميد وفاضل خليل، ولكنه كان يصر على أن التكريم الحقيقي هو الذي يناله المبدع في وطنه أولاً ..
ولشدة زهده وانتماءه الحقيقي لفن المسرح كان جعفر السعدي مستبعداً بشكل كامل من قبل المؤسسة الرسمية العراقية في العقود السابقة، وأبرز المناصب التي أنيطت له كانت مناصب شرفية، مثل إدارته للمسرح الوطني، وهو منصب فخري ليس إلا فمدير المسرح عادة ما يكون غير مسؤول البتة عن ما يعرض على المسرح، فوظيفته إدارة البناية بمعية عدد من الإداريين!، وغياب السعدي عن المشهد المسرحي العراقي لا ينافسه فيه إلا الفنانة الكبيرة زكية الزيدي. كان غياب هذين الأسمين الكبيرين في العقود الثلاثة الأخيرة من عمر المسرح العراقي يشكل دلالات بالغة عن وضعية الفنان العراقي ، ونحن نرى فيه علاوة على ذلك نوع من الاحتجاج المضمر على ما كان يجري من عبث في أرض الرافدين .
واليوم، يبدو تكريم جعفر السعدي اعترافاً بمواهب كثيرة حملها هذا الرجل، ليس أقلها قدرته على مقاومة مد الخضوع بقوة الصدق الكامنة في ذاته، وليس آخرها تاريخه الطويل في المسرح العراقي ممثلاً ومخرجاً وأستاذاً ومربياً ، وإنساناً طبعاً .

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

فنانون ومثقفون: جعفر السعدي فنان من الطراز الاول

استطلاع اجراه عباس الخفاجي

خمسة اعوام مرت على رحيل رجل المسرح والسينما الفنان جعفر السعدي هذه شهادات لطلبته يتحدثون عن دور الفنان الكبير في تاسيس المسرح العراقي الحديث في ذكرى الأب والفنان جعفر السعدي

×حدثنا الناقد الدكتور يوسف رشيد قائلاً:

– ماذا يمكن ان يكتب في استذكار (جعفر السعدي) وهل يمكن للكلمات ان تصف روعة الشاطئ الذي ترعرعت فيه احلامنا..من اين ابدأ انا الذي كنت طفلاً اتسلل من شباك بيتنا المطل على مسرح معهد الفنون الجميلة في الكسرة واظل اراقب خلسة ذلك المبدع الذي كنت اغبطه منذ طفولتي وانا اراقب حنوه على ابنائه الطلبة انذاك.. ويكبر حلمي ووجه جعفر السعدي يبقى امنيتي الاثيرة وتمضي الايام ليصير حلمي حقيقة واكون من بين تلاميذه فياخذني وزملائي الى صدره الابوي الحنون الذي رصد تميزنا كطلبة ودعانا الى (فرقة المسرح الشعبي) كنا صغاراً وقتذاك منه تعلمنا ان المسرح هو الحب ومنه تعلمنا ان الفرقة هي العائلة وان الفن هو انتماء اكبر من اي انتماء لم اخاطبه الا ابي كمعظم فرقتي ولم يخاطبني الا ولدي فقد كان فعلاً (بابا جعفر) لم اذكر يوماً انه تخلف عن واجب اجتماعي ابوي معي حتى انه كان ياتي لزيارتي في شقتي المتعبة في الكاظمية ويحول دون صعوده اليها ذلك السلم المتعب الذي لم يقو على الصعود اليه فيطلب لي ان انزل اليه اولادي الصغار ليقبل عيونهم ويباركهم بمحبته فما من ضائقة مادية او ازمة مرضية الا وكان لوجه جعفر الاب بلسم فيها وما من مشكلة في الوسط الفني الا وان لها رسول محبة وسلام ولا ابالغ ان قلت انه قاسم عراقي مشترك...فمنذ بدا اولى خطوات المسرح العراقي على طريق التجريب عبر مسرحيته يوليوس قيصر في الخمسينيات من القرن الماضي والتي تعد اول نزول للممثل الى قاعة الجمهور انذاك الى مدينة القواعد واعماله التلفزيونية والسينمائية التي شكلت تاريخاً ابداعياً متواصلاً كان السعدي مبدعاً عراقياً تعشقه ازقة بغداد..يستحق منا جميعاً كل الوفاء والاجلال لذكراه.

جعفر السعدي وحقيقة الابداع

اما الفنان محسن العزاوي قال: قامة مديدة..وصوت رخيم..التزام بمناهج النحو و الصرف..لذا لم يكن انبهاري قد انصب على ادواره في ثلاثة اعمال سينمائية..ليلى في العراق وعلي وعصام وسعيد افندي، انما لم تفصح عن قدراته الحقيقية الا عندما اصبح جزءاً لا ينفصل عن حركة المسرح العراقي..فقد كبر الرجل في ذاكرتي الانسان الطيب مع يوسف العاني وخليل شوقي..وتمنيت وانا كنت اتقدم الصفوف الاولى بين المخرجين المسرحيين العراقيين..تمنيت ان اصبح الممثل لا المخرج وهذا احساس ليس مبعثه صفات رجل مقتدر على الحفظ في ذاكرة قوية تشتعل على دوام سواء كان ممثلاً تلفزيونياً ام ممثلاً مسرحياً انما صلابة هذا الرجل الكبير في الالتزام فقد عمل معي في اربع مسرحيات كممثل.. اولها (الطاووس) واذا كان الممثلون كبروا على خشبة المسرح بينهم عبد الستار البصري هديل كا مل ،

يظل السعدي عنواناً للثقة والابداع في التمثيل و الاخراج الذي يتحرك باطار الفكرة ويعمق فيها من خياله الذي يعكس في العرض روح المشاركة الجماعية دون ايثار لمصالح شخصية..وهو بهذا يكون قد سار بالعمل نحو النجاح بايثاره لفكرة المؤلف والعلاقة بينهما علاقة بسيطة ليست بالمعقدة حيث انها من بديهيات العمل المسرحي تمثل عند المؤلف رؤيا قائمة بذاتها

نزار السامرائي، وهم يقفون بجانب استاذهم الكبير فقد كبرت انا شخصياً عندما دخلت في امتحان شديد القسوة علي مع ممثل يعرف ويدرك اهمية وقيمة المخرج عندما يصبح قائداً ويبقى هو الجندي الذي لا يخالف الرأي....

تتوهج الذاكرة من جديد مع جعفر السعدي كان الاكثر والافضل جدارة في فهمه العميق لطبيعة الاب الذي لا حول ولا قوة وهكذا ظل فناننا الراحل القدير جعفر السعدي ذلك الانسان المشتغل الباحث والدؤوب ولم تجمعني مع الراحل خشبة المسرح الوطني او المنصور او الرشيد او خشبة المسرح في كل من تونس والمغرب انما كان على الدوام بصلة وثيقة معي عندما كنت مدرساً في معهد الفنون الجميلة وكان هو رئيس القسم في كلية الفنون الجميلة عندما كنت محاظراً انما جمعتني معه صلة القربى في الاحساس وجلال المسرح فلك مني الدعاء الى الباري عز وجل ان يكون مكانك في الاعالي مع الخيرين والصادقين والمسالمين.

في ذكرى الرائد المسرحي جعفر السعدي

اما الكاتب و الناقد المسرحي عباس

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

لطيف فيقول:
لقد شكلت شخصية الفنان الراحل جعفر السعدي ظاهرة ليس من السهل تكرارها من حيث الابداع والتوجه و المسيرة فقد ظل جعفر السعدي امينا على خطاه الاولى الجادة ولم تبهره تقنيات وشكلانية التجريب من اجل التجريب مع ان دراسته في اميركا مثلت انتقالة في تجاربه لكنه ظل مخلصاً لروحه الشعبية الملتصقة بالواقع العراقي وتمثل سيرته فنياً عدداً من التحولات والظواهر لكنها ظلت مشدودة الى اخلاص الفنان الحقيقي و الانسان المضمخ بالطيبة والنيات المتعالية... الومضة الاولى والجادة التي ارساها السعدي لاسيما تجربته في التعامل مع المسرح العالمي وتعد تلك التجارب من ارهاصات المسرح العراقي في تبني نصوص عالمية واخضاعها لرؤية عراقية مقرونة بالهم الجمالي.لقد كان السعدي في ادواره ومشواره الحياتي رمزاً من رموز المسرح العراقي ولعل مشهد رحيله مثل ذروة التوهج والارتقاء الى ابديته لكنه يظل حياً تنويرياً لكل مسرحي حقيقي.

السعدي عنوان للثقة والابداع

اما الفنان الدكتور رياض سهيد فقال:
يظل السعدي عنواناً للثقة والابداع في التمثيل و الاخراج الذي يتحرك باطار الفكرة ويعمق فيها من خياله الذي يعكس في العرض روح المشاركة الجماعية دون ايثار لمصالح شخصية..وهو بهذا يكون قد سار بالعمل نحو النجاح بايثاره لفكرة المؤلف و العلاقة بينهما علاقة بسيطة ليست بالمعقدة حيث انها من بديهيات العمل المسرحي تمثل عند المؤلف رؤيا قائمة بذاتها يكشف عنها المعنى الاساسي للنص تبقى مهمة المؤلف مرتبطة في هذا من حيث بناء الحدث ورسم الشخصية وخلق ضرورات الترابط بين الحدث والشخوص والتي تعبر في الاخير عن هدف المسرحية اما من ناحية المخرج فالعملية لا تتعدى حدود المعنى الاساسي للنص فهو يقوم بتحديد المعنى واعادة خلق الضرورات التي تلازم الحدث والشخصية اي تصوير العلاقات عبر تجسيد الموضوعات المكونة للمشهد صوب اعطاء المسرحية الشكل النهائي في تحديد هدفها يظن بعض المخرجين ان الكشف عن الفكرة لا يقتضي تعقيداً من النفي والاثبات لعلاقاتها لانها في نظرهم لا تحتاج غير رفع الصوت في تاكيد دلالتها ام السعدي يرى ان الفكرة هي التصور الماخوذ عن الشيء المتعين وتقاس على حقيقة وجوده ولا يمكن ان يكون حقيقياً مالم تكن له فكرة والمسرح كوجود فانها تحل محل التصور كتمثيل لمعنى الحدث المستمد عن ادراك الممثل الحسي لواقعة الحدث وهنا لا يمكن ان نقول عن الفكرة انها تصور مجرد وبما ان لكل حدث خطا من الافعال تكشف عن تطوره فان تلك الافعال عناصر حية تبعث على تكوين موضوع الحدث وفكرته وبالتالي تكون الفكرة امكانية تحديد لواقعة الاحداث في طور وجودها الفاعل وبذلك يكون السعدي خلق الكاتب للفكرة مضموناً لفعل العرض والعرض يؤكد في ذات الوقت بشكل لمضمون الفكرة يصبح المجال المحدد لعلاقة المخرج بالمؤلف عبر تحويل الفكرة الى مظهر سلوكي لافعال الشخصيات...هكذا بحث السعدي في حركته الابداعية وديمومة الحياة ومكونات واقعها الحياتي.

جعفر السعدي يعلمنا درسه الاخير .. عزيز خيون

هو المعلم الكبير،الفنان المبدع،الانسان الطيب، الروح المحلقة،القاب يعجز القلم عن تدوينها وذكرها لما يتحلى به هذا الرجل من خصال وعناوين، معرفتي به قديمة تمتد الى اكثر من عشرين سنة عندما عملت معه ومع مجموعة كبيرة من عمالقة المسرح العراقي في مسرحية الانسان الطيب سنة ١٩٨٤ وكنت ما ازال طالباً في كلية الفنون..كان نموذجا للفنان و الانسان الذي يمتلك من المحبة والحنان ما يكفي لمئات البشر كان يوزعها على الجميع، بعد ذلك كان رئيساً لفرقة المسرح الشعبي الذي كنت احد اعضائها كان يطل علينا ليمنحها محبة ويحفزنا على تقديم مسرحيات تعنى بقضية الانسان..
هو المجدد في المسرح العراقي الذي قام بمسرحية يوليوس قيصر بتحويل مكان التمثيل بين الجمهور وهي سابقة في المسرح العراقي قام بها في الخمسينيات هو المعلم الذي يعلم الاخرين بفنه وسلوكه هو طيبة تمشي على قدمين زرته قبل وفاته باسابيع بعد رحيل حبيبته وزوجته ماجدة السعدي وكان قد اطلق لحيته على غير المعتاد وسألته لم هذه اللحية اجابني لمن احلقها وقد طارت انيستي وحبيبتي ادركت انه سيطير بعدها قريبا وكان حدسي صحيحاً اختار اللحاق بالحبيبة لم يتخلف عنها سوى شهرين رجل عاش حياته ليعلمنا وهو يعطينا درسه الاخير حتى في موته في قاعة المسرح الوطني هو رجل مسرح وقد عاش وعمل لو مات فيه مات ليعلن عن وفائه ومحبته لزوجته وليعلمنا درساً جديداً في المحبة.

أجمل الموتى.....جعفر السعدي الدكتور صلاح القصب

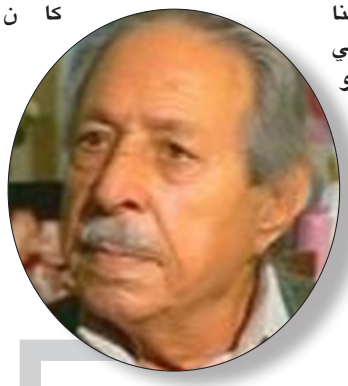

اذا كانت القاعدة تقول ان الانسان لا يستطيع ان يختار مكان او زمان موته، فان الشذوذ عن القاعدة هو الفنان الكبير جعفر السعدي الذي اختار زمان ومكان موته..فقد اختار زمناً تواجد فيه المثقفون العراقيون الذين توافدوا من جميع منافي الارض ليشهدوا ذلك الفعل التراجيدي الذي الفه واخرجه ومثله بكل واقعية على خشبة المسرح الوطني.

قال عن استاذه جعفر السعدي:

اذا كانت القاعدة تقول ان الانسان لا يستطيع ان يختار مكان او زمان موته، فان الشذوذ عن القاعدة هو الفنان الكبير جعفر السعدي الذي اختار زمان ومكان موته..
فقد اختار زمناً تواجد فيه المثقفون العراقيون الذين توافدوا من جميع منافي الارض ليشهدوا ذلك الفعل التراجيدي الذي الفه واخرجه ومثله بكل واقعية على خشبة المسرح الوطني.
جعفر السعدي..قبل موته بلحظات، كنت بالقرب منه مع د.فاضل خليل فسأله كيف حال المسرح يا فاضل؟....واعتقد انه اخر سؤال له عن المسرح كأنه اراد ان يطمئن قبل ان يموت..على ارثه..على احلامه... على ابنائه..
كان وداعه من اجمل الوداعات..وموته من اجمل الميتات وكان هو اجمل الموتى..كتب قصيدة موته بيده وكتب لنفسه رثاءً من الف مثقف ضجوا بقاعة المسرح الوطني وبقافية واحدة هي قافية (شهيد المسرح).

ازادوهي صاموئيل : لن انسى معلمي

ازادوهي صموئيل تتحدث عن ذكرياتها مع الفنان السعيد فتروي وتسترجع ماحدث لها يوم كانت طالبة في معهد الفنون وقد شاركت ممثلة في مسرحية – الدب – لتشيخوف، واذ انتهي العرض وقد حقق نجاحا ملحوظاً، يعتلي الاستاذ جعفر السعدي خشبة المسرح ليقبل يد هذه الفنانة القديرة ومن باب التشجيع والتحفيز للاستمرار والتواصل وليكون سندا وعونا لها في اعمالها اللاحقة. واذ تتاح له فرصة الحديث وفي اعقاب مساهمة اخري قيمه للفنانة زكية خليفة عن دوره المشرف في الصمود بوجه التحديات ايام النظام البائد تعود به الذاكرة الي ايام الستينيات يوم قدم عملا مسرحياً علي المسرح القومي في كرادة مريم.
كان الاستاذ حقي الشبلي مديرا عاما للسينما والمسرح. بعد اسدال الستارة وانتهاء العرض اعتلي الخشبة وهو يحمل باقة ورد لطاقم العمل حينها لم اتمالك نفسي – فقبلت يده قبلة طويلة فانهالت علي انتقادات وتعليقات لا أول لها ولا آخر كيف يفعل جعفر السعدي ذلك؟!
استاذنا الكبير كيف يرضي ذلك لنفسه ولماذا؟! انا اقول:
من علمني حرفا صيرني سيداً
وازادوهي صموئيل حينما مثلت في مسرحية – الدب– لتيشخوف وكانت طالبة في الصف الثاني في المعهد في نهاية العرض هنأتها وقبلت يدها ومرة اخري في مسرحية – اوديب ملكا– ترجمة طه حسين
لماذا تقبيل اليد؟!
ربما هي لاتعرف بذلك.
الواقع ان النجاح الكبير الذي حققته وهي طالبة في المعهد وفي تقديم عملين رائعين. لم اجد امرأة تقدم العمل هكذا وقياسا بما قدم هذا اولا وثانيا : حييتها لانها اول امرأة وبت اعترف بريادتها في المسرح).
وهنا تستأذنه الفنانة ازادوهي لتقول:
استاذ جعفر: كثيرا ماكنت تناديني (باباتي) هل تسمح اليوم ان نناديك (ماماتي) ولو للحظات؟ يرد عليها الفنان الراحل وبشيء من المرح قائلا:
استأذني من زوجتي الان.. والدتي في البيت هي والدتي وكل شيء في البيت.
ويواصل سرد ذكرياته الجميلة يوم كان طفلا ويوم شب وكبر.. ويوم صار المسرح هاجسه وراح يسري في شرايينه وليس ادل علي ذلك سوي عشرات المسرحيات التي مثل فيها او اخرجها وعلي مدي سبعين عاما من عمره

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

تجربة جعفر السعدي المسرحية

كان الصبي جعفر السعدي عام ١٩٣٤ تلميذا في مدرسة المفيد الابتدائية في الكاظمية.. وشاء معلم اللغة العربية عام ١٩٣٧ أن يختاره ليقدم دورا صغيرا في مسرحية عنوانها (مظالم الاستعمار لليبيا). فزكاه نجاحه في أدائه، أن يشترك في عمل آخر اسمه (مثلنا الاعلى) تناول موضوع الوحدة الوطنية .

شوكت الربيعي
ناقد وفنان تشكيلي

وفي مرحلة لاحقة في معهد الفنون الجميلة، اخرج عددا من المسرحيات معظمها للشاعر أحمد شوقي. وكانت اول مسرحية أنجزها بعنوان (فلوس) لكاتب (تركي) اقتضت وجود ست مؤديات في زمن حرج من فيضان اجتاح بغداد سنة ١٩٥٣ وفي وقت كان الحصول على العنصر النسوي، أمرا صعباً. وقد واجه مثل ذلك الموضوع عندما طلبت منه إدارة الاعدادية المركزية في بغداد ان يقدم لهم نشاطا مسرحيا يقوم هو باختياره. فقرر إخراج مسرحية القبلة القاتلة .. ولكنه احتاج عنصرا نسائيا لتنفيذ العمل المسرحي.. فجاء أحد زملائه:(عدنان عبد القادر) بأخته وبدأت التدريبات. وأثناء تقديم (بروفات)العمل على مسرح قاعة الإعدادية المركزية، توطدت أواصر العلاقة بين المؤدين وابتدأت من خلال (نظرات) شغوفة متبادلة بين (جعفرالسعدي) وبطلة المسرحية، وبعد عام ١٩٥٦ تزوجها ووصف شريكة حياته بأنها (أمه وابنته وأم أولاده..). أما آخر عمل اخرجه ضمن ذلك الموسم المسرحي، فكان (رقصة الاقنعة) للشاعر شاكر السماوي.. وللظروف التي رافقتها، قصة طويلة فيها مأساة، اذ كان نصف الممثلين الذين شاركوا في المسرحية، خارج العراق، ولم يبق سوى اسبوع واحد على تاريخ العرض، فأضطر السعدي إلى الإستعانة بزوجته وابنائه واصدقائه لتقديم العمل، بالرغم من محاصرة الشرطة لمبنى المسرح، لأن نص المسرحية كان يدعو الى الاشتراكية، وهو أمر محظور في زمن (رئيس وزراء العراق نوري السعيد). ومن المعروف أن رواد الحركة الثقافية عامة، والفنية بشكل خاص، قد نشأوا زمن مقاومة الاحتلال الانكليزي للعراق بعد عام ١٩١٤ وكانت الحركة الوطنية في أوج تصاعدها، فنشأ المسرح في احضان السياسة وانعكس تمسك المثقفين بالوطن والأمة والإنسان على المسرح العراقي . و قد افرزت تلك المرحلة، خيرة كتاب المسرح، من الجيل الأول منهم، الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي، وموسى الشابندر، وسليم بطي، ونديم الاطرقجي، وصفاء مصطفى، وجميل قبطان ومحمد رضا شرف الدين، و عبدالحميد الراضي، وخضر الطائي، ومحمد الهاشمي، و خالد الشواف وفي فترة لاحقة تميزت فيها كتابات يوسف العاني، ومحيي الدين زنكنه، وعادل كاظم، قاسم محمد، بدري حسون فريد، طه سالم وعلى مزاحم عياش وعيسى عبد الكريم رئيس جمعية الطليعة التي تاسست في العمارة عام ١٩٥٥ استمرارا لتشكيل اول جمعية فنية فيها عام ١٩٤٢ .

المسرحيون وقلة المسارح

اجتمع خريجو معهد الفنون عام ١٩٤٧ وقرروا تشكيل أول فرقة سميت (الفرقة الشعبية للتمثيل). وكان كل عضو فيها يستقطع من راتبه ليدفع الايجار او مستلزمات الفرقة فلم يعيشوا من وراء المسرح. ولكنهم كانوا يعيشون براتب الوظيفة. ثم تشكلت في ظل الظروف المادية الصعبة إياها . فرقة المسرح الفني الحديث ١٩٥٢. و . فرقة المسرح الحر ١٩٥٤.

كانت الحركة المسرحية تفتقر إلى وجود صالات المسارح في البداية، إذ لم يكن هناك سوى مسرح واحد في الثانوية المركزية، و صالة شيدت عام ١٩٥٠ سميت قاعة الملك فيصل، تدعى الآن قاعة الشعب. وفي فترة لاحقة، اجيز عدد من الفرق المسرحية في بغداد، و في ألوية العراق ومنها الموصل والبصرة، والعمارة والناصرية، وتغير الحال بعد ان تأسس التلفزيون عام ١٩٥٦ وأخذ يرفد المؤدين بمورد بسيط يعين رواتبهم من الحكومة وليس من الفن. ويتذكر السعدي أنه لدى عودته من الولايات المتحدة قدم للمسرح اول عمل اخرجه بهنام ابراهيم وعندما عرض لم يكن هناك أي جمهور، فخرج إلى الشارع ولم اجد سوى بائع الشلغم فقال له "لماذا لاتدخل وتتفرج"..؟ فدخل وحده وجلس معه . وفي العرض الثاني، قال السعدي (..بدأنا نتوسل بالناس للدخول) وفي العمل الثالث بدأت الناس بالدخول . اما في العمل الرابع وهو مسرحية (عطيل) بدأت الناس تطلب البطاقات وفي السنة الثانية اخذت تتوسل للحصول على البطاقات . وفي عام ١٩٦٣ بيعت البطاقات في السوق السوداء.. بينما كان جعفر السعدي في قمة تألقه الذي امتد في العديد من العروض المسرحية، وبخاصة في مسرحية (نفوس) عام ١٩٧٢ لفرقة المسرح الفني الحديث،.. ثم صار لصيقاً بذاكرة الجمهورالعربي، من خلال دوره في المسلسل التلفزيوني: (مكاني من الإعراب). بوصفه أحد ابرز العلامات الباسقة في الحياة المسرحية.. إن النخلة تنمو بفسائل لصيقة بها .. ثم تستقل عنها عندما تكتسب إرادة الحياة. وفي السنوات اللاحقة تبدلت الظروف والاحوال والنفوس والمشاعر والأذواق إزاء فن المسرح. وفي سنة ١٩٧٩ قدم آخر عمل له على مسرح بغداد وبقي من المبلغ ٥٦ دينارا وهذه اول مرة في حياته يقبض فيها مبلغا عن عمله في المسرح. وهناك مثال آخر عن سوء طالعه المادي أثناء تقديم سهرة "الهجرة الى الداخل" من تأليف عبد الوهاب الدايني تتحدث عن الموظف المسحوق فاتصل به الاستاذ خليل شوقي وهو المخرج وقال له: " ارجو ان تكون البطل وزوجتك تكون هي زوجة البطل " فرحب بالموضوع وبدأ العمل ولكنهم واجهوا ظروفا انتاجية سيئة ولم يأخذوا اجورا عن أدوارهم...وبعد ان عاد من تونس علم أنه حصل على الجائزة الاولى في براغ من بين ٥٦ دولة " وقد مر الكثير من الفنانين بمثل تلك الظروف المتعبة الحرجة ومن هؤلاء (ابراهيم جلال، خليل شوقي، جاسم العبودي، وسعدون العبيدي، يوسف العاني، فاضل القزاز، سامي عبدالحميد، قاسم محمد، بدري حسون فريد وسامي قفطان وفاضل خليل وجواد الأسدي والمرحوم د.عوني كرومي وفاضل سوداني .. وكان آخر عمل له في حياته، مسرحية "رغيف على سطح الماء" للمخرج وجدي العاني. ولكنه استطاع أن يكون المؤدي والمخرج والمؤلف والمنتج منشغلا مع الرواد بحرث الارض البكر، لكي يبدأ المسرح العراقي يؤسس سماته المميزة عن الأقطار العربية.

جعفر السعدي بين المسرح والسينما

منذ بداية الانتاج السينمائي في العراق، وتحديداً منذ فيلم (عليا وعصام) الذي اعده البداية الحقيقية للانتاج السينمائي العراقي، حيث كان الانتاج عراقياً برأس مال عراقي، بعد ان شيد ستوديو بغداد بأمكاناته المتواضعة والكافية في ذلك الوقت للانتاج من الناحيتين التقنية المطلوبة والفنية التي تعتمد على عناصر ذات خبرة متواضعة ايضاً لكنها حريصة على ان تتعلم وتتعاون مع كفاءات يستعان بها عادة في بدايات العمل السينمائي في بلدان مازالت في اول الدرب.

(عليا وعصام) كان البداية بموضوعه وبعناصر شابة او العناصر الفنية الاخرى حين شاركت في القاهرة بغداد.. الانتاج المصري العراقي والذي أفتعل موضوعه ليجري التصوير في البلدين مصر والعراق.. ويطعم بفنانين عراقيين ظل حضورهم في الصف الثاني بعد العنصر المصري.. عليا وعصام وأؤكد مرة اخرى كان البداية.. وكان بداية لممارسة جادة لشباب.. تخرجوا في معهد الفنون الجميلة فرع التمثيل والاخراج.. ووجوه جديدة ولاسيما في مجال العنصر النسائي.. ورواد مسرح عرفوا بموقفهم وموقعهم في المسرح العراقي مثل يحيى فائق وعبد الله العزاوي وفوزي محسن الامين وغيرهم.. ووقف معهم.. ابراهيم جلال للدور الاول- عصام- وجعفر السعدي.. الاب المهيب.. حامل تجربة فن التمثيل والقادر على ان يكون (نغمة) عالية العزف عميقة الاثر خالية من (النشاز) بعيدة عن التشنج او التكلف.. خالصة الاثر المسرحي الشائع انذاك في ان تكون مبالغا بادائك متكلفا ومغاليا بتعبيرك.. فتحول الشخصية التي تؤديها الى نموذج خال من الاقناع بعيد عن اقتناع المشاهد بها. جعفر السعدي في اول فيلم

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

سينمائي يمثل فيه (عليا وعصام) عام ١٩٤٩.. كان نسخة رقراقة هادئة حتى في انبهارها او انفعالها العميق.

كان جعفر يدري كيف يتعامل مع الكاميرا ويدري في ذات الوقت كيف يتعامل مع الممثل الذي يقف امامه ليكون الفعل ورد الفعل متوازياً متوازناً بلا غلو او سرقة للمشهد- كما كانوا يسمونه انذاك.

ايقاعه وحركته في فيلم (عليا وعصام) كانا محسوبين منضبطين.. وكأنه اي جعفر- قد مثل في عشرين فيلماً او اكثر.. وهذا هو الاحساس الفني للاداء المدروس واستيعاب الشخصية والابداع الذي يبدو عفوياً بلا إدعاء.

بعد سنوات وفي عام ١٩٥٦.. كان جعفر السعدي معنا في مشروع سينمائي جديد مثل (الحلم).. شباب كلنا نريد ان نأتي بمحاولة جديدة جادة وممتعة نقية القصد امينة الهدف تتعامل مع انساننا العراقي بصدق ومحبة في ان يجد نفسه علي الشاشة حياة حقيقية حلوة في انتزاعها منه، واعطائها له.. عملية فنية تمتزج بفكر تقدمي يلمس الواقع بنعومة ويرسم خلفيات ذاك الواقع بوعي من أجل ان يحيله الى نمط فيه الجديد الخالي من الكذب والبهرجة الزائفة.

كان ذاك (الحلم) سعيد افندي

دخل جعفر معنا مجموعة مسؤولة عن كل خطوات العمل..وعن كل النتائج مهما كانت صعبة او خطرة.كان اضافة الى دوره (الاسكافي) مسؤولاً عن الانتاج مع عبد الكريم هادي الحميد كما كان ابراهيم جلال مسؤولاً عن الاخراج مع كاميرات المخرج.. وانا ممثل دور سعيد افندي وكاتب السيناريو والحوار.. وواحد من اللجنة الخماسية المسؤولة عن الفيلم اشرافاً وتخطيطاً.. ومسؤولية - كما اشرت- وحين قررنا البداية.. اقسمنا نحن الخمسة.. علي ألا نبقي في الفيلم (خطأ) نحس به او نعرفه.. أي ألا يكون في عملنا(غش).. اما اذا فاتنا ذلك الخطأ ولم ندركه او نعرفه.. فذاك امر آخر ليس فيه قصد او نية سيئة. وكان القسم بصوت (جعفر السعدي) ونحن نردده بعده..! وراح كل الى عمله.. اما جعفر فقد كان يحضر التصوير يومياً يبعد من يقترب من مكان التصوير بكل ادب.. ويشرح له اهمية هذا الفيلم ويدعوه للتعاون معنا.. وحين يأتي دوره يعود ذاك الاسكافي الانسان البسيط الطيب يملأ الشاشة حناناً وصدقاً وحيوية لا تنسى فكان وحتى اليوم حين نستذكر ما كان يضعه واحداً من دعامات فيلم سعيد افندي.

فنان بين المسرح والسينما

جعفر السعدي في السينما- كما المسرح- ليس سهلاً في قناعته في ما يؤدي او يقدم.. ممثلاً او مخرجاً.. فبعد سعيد افندي الذي عرض عام ١٩٥٧.. لم يشارك الا في فيلم (الجابي) الذي انتجته دائرة السينما والمسرح.. من اخراج جعفر علي.. السينمائي المثقف عام ١٩٦٨.. تقدم بتواضع ومثل الدور بهدوء ورقة وحميمية عالية ومعه زميله اسعد عبد الرزاق واخرون من ممثلي مسرحنا العراقي ليرسم في الذهن صورة ذاك العراقي الطيب بطريقته السلسة والمؤثرة والتي لايمكن للمشاهد الا ان يعشقها.. ومثل بعد ذلك في فيلم (المسألة الكبري) عام ١٩٨٣.. وحين تقدم محمد شكري جميل يدعوه لتقديم دور متواضع في الملك غازي- عام ١٩٩٣- دور السفير الروسي.. قبل.. وملأ الشخصية، وتجاوز متطلباتها بكل احترام وكفاءة.

باختصار شديد وانا ادري ان الحديث عن جعفر السعدي حديث لاينتهي ، ولاسيما في المسرح.. ثم التلفزيون.. اثرت ان اتحدث بايجاز عن دوره الرائد والمبدع في خمسة افلام من كم كبير في العدد قدمت وانتجت عبر سنوات تجاوزت الاربعين.. فقد كان جعفر في هذا (الكم) القليل جداً كبيراً عميق الحضور شديد الاثر في نقل الحقيقة الفنية كما اسميها- ليرسم الانموذج العالي والصادق.. للفنان العراقي الذي يتحمل الابداع مسؤولية شريفة وكريمة.. كي يتكلمها الاخرون درساً قد لايجدونها لا عند القلة القليلة من فناننا الرواد وكذلك الشباب. وما حديثي المتواضع هذا الا جزء من وفاء نشعر به جميعاً وقد فارقنا.. الفنان والانسان والمربي جعفر السعدي- رحمة الله عليه-

آراء في تجربة السعدي السعدي و السينما

يرى يوسف العاني أن جعفر السعدي في السينما- كما المسرح- (ليس سهلاً في قناعته في ما يؤدي او يقدم، ممثلاً او مخرجاً.. وفي اول فيلم سينمائي يمثل فيه (عليا وعصام) عام ١٩٤٩.. كان نسخة رقراقة هادئة حتي في انبهارها او انفعالها العميق... ايقاعه وحركته كانا محسوبين منضبطين.. وكأنه قد مثل في عشرين فيلماً.. وهذا هو الاحساس الفني للاداء المدروس واستيعاب الشخصية والابداع الذي يبدو عفوياً بلا إدعاء...)

وعدا تجربة الفيلم المشترك (القاهرة بغداد).. يبقى فيلم (عليا وعصام) يشكل رمز البداية الشابة الجادة... لوجوه الفتيات والفتية الذين تخرجوا في معهد الفنون الجميلة ولرواد المسرح العراقي مثل يحيى فائق وعبد الله العزاوي وفوزي محسن الامين. وبطل الرواية ابراهيم جلال، للدور الاول- عصام- وجعفر السعدي لدور (الاب المهيب).. حامل تجربة فن التمثيل والقادر على ان يكون (نغمة) عالية العزف عميقة الاثر خالية من (النشاز) بعيدة عن التشنج او التكلف..) وبعد أن اشترك في فيلم (سعيد افندي) الذي عرض عام ١٩٥٧.. وأسهم مع اسعد عبد الرزاق في فيلم (الجابي) الذي أخرجه جعفر علي عام ١٩٦٨..دعاه المخرج محمد شكري جميل للعمل معه في فيلم (المسألة الكبري) عام ١٩٨٣.. كما قام بدور السفير الروسي في فيلم الملك غازي- عام ١٩٩٣.. قبل الدور المتواضع .. وملأ الشخصية، وتجاوز متطلباتها بكل احترام وكفاءة. على حد وصف وتقدير الفنان يوسف العاني. وكان الفنان سامي عبد الحميد يرى (السعدي) من اكبر المسرحيين على الاطلاق، وانه تعرف عليه في بداية الخمسينيات عندما احيا (الفرقة الشعبية) ويتذكر انه استدعاه للتمثيل في مسرحية (فلوس) التي قدمت في قاعة الشعب ولمس منه الاخلاص والحماس . وكان ملتزما ودقيقا بأوقات ومواعيد العمل المسرحي.

مسرحية "عرس الدم"

قال: (الفنان د. فاضل خليل : عندما كنت بطل مسرحيته "عرس الدم" تأخرت ٥ دقائق فلم يتحدث معي لمدة ٥ سنوات.. كان عمقه في بساطته.. عندما تنظر الى جعفر السعدي تجد فيه الانسان الذي خَرج اجيالا واجيالا، وكلما تقدم بنا العمر يبقى يرانا تلاميذه، وفي يوم عاد د. عوني كرومي بعد ان حاز على الدكتوراه من المانيا واصبح أستاذا مع السعدي في قسم المسرح فأحتدم النقاش بينهما مما كان منه ان هاجمه بأبوية عالية ، فقلت له "استاذ لقد كبرنا ونحن اليوم زملاؤك" ، واهم ميزة في تصوري عنه انه لم ينافس احدا فهو شيء كبير فهو درسنا ودرس اجيالا قبلنا ونحن نحترمه وهو انسان رائع..) وكان السعدي يعني للفنانة شذى سالم الاصالة والتاريخ، فأول تجربة لها معه كان عمرها ١٣ سنة وليس من السهل التحدث عنه وليس من السهل ان يرد جميله أو نسيانه.

ولم يصبر على فراق حبه

تصاعدت التراجيديا الحقيقية عندما تغبشت الرؤية من خلال (نظرات) كانت شغوفة متبادلة بين المعلم (جعفرالسعدي) وبطلة مسرحياته، التي غدت شريكة عمره في المسرح وفي الحياة.. ووصفها بأنها (أمه وابنته وأم أولاده..).. رفيقة حياته وإبداعه وقرينة روحه.. وكانت الفنانة ماجدة السعدي، من المؤديات الرائدات النوادر على خشبة المسرح العراقي في ظروف وتقاليد اجتماعية محافظة وحرجة. وحققت حضورها البارز والواضح في المشهد العراقي، وقبل شهرين لفظت أنفاسها الأخيرة.

وفي الثاني عشر من شهر أبريل عام ٢٠٠٥ - كانت كلماته تتنفس بصعوبة.. و يلتم أحبابه حوله في صالة المسرح الوطني وهو يحضر مؤتمر المثقفين العراقيين .. وبدأت أنفاسه تثقل، وأخذه الغياب.. وعجلوا به الى الفضاء، ثم إلى المستشفى، لكن المبدع الكبير رحل فيما أراد الناس الاحتفاء به. فهل من المجد ان يموت المرء واقفاً كما النخلة .. وان يكون الإنسان كما الروح في تألقها، في قمة عطائه وخصب تجاربه ونبل مواقفه.. كان بهياً، خصباً ، يختزن الفكر والإبداع والتجارب والرؤى. من حيث كان إلى أن احتضنه تراب الوطن. .

× - نعت المؤسسات الفنية، الفنان المسرحي البارز جعفر السعدي..الذي فارق الحياة في قاعة المسرح الوطني ببغداد في يوم ١٢ نيسان الجاري، خلال حفل افتتاح مؤتمر المثقفين العراقيين: وجاء في النعي:

المجد ان يموت المرء واقفاً كما الشجرة . كما الجبال .. كما الروح في تألقها .

والمجد ان يكون الإنسان في قمة عطائه وخصب تجاربه ونبل مواقفه حتى يبقى مضيئاً. والراحل الكبير جعفر السعدي كان الشجرة الوارفة التي ألقت بظلالها وثمارها على أجيال من المبدعين الذين كبروا بعطاءاتهم وتواصل مسيرتهم .. وتمكن من الحصول على جائزة افضل ممثل عالمي في مهرجان براغ الدولي.

في فرقته المسرحية الأثيرة: فرقة المسرح الشعبي، كان يقدم أزهار عمره الى المسرحيين الشباب، الى جانب الرواد انطلاقاً من فهمه العميق أن النخلة تنمو بفسائل لصيقة بها .. ثم تستقل عنها عندما تكتسب إرادة الحياة .. لكن مسرح الستين كرسيا الذي كان تشغله فرقة المسرح الشعبي مع فرقة مسرح اليوم .. كان قد احترق في ظروف غامضة قبل سنوات .. ومن الفاقة أقفلت أبواب الفرقتين !

في مسرحية (نفوس) عام ١٩٧٢ لفرقة المسرح الفني الحديث، كان جعفر السعدي في قمة تألقه الذي امتد في العديد من العروض المسرحية .. ثم صار لصيقاً بذاكرة الجمهور من خلال دوره في المسلسل التلفزيوني: (مكاني من الإعراب) وقبل شهرين من وفاته، ودع السعدي رفيقة حياته وإبداعه وقرينة روحه .. زوجته.

× المقال فصل من دراسة عن تاريخ الفن في العراق ستنشر قريبا

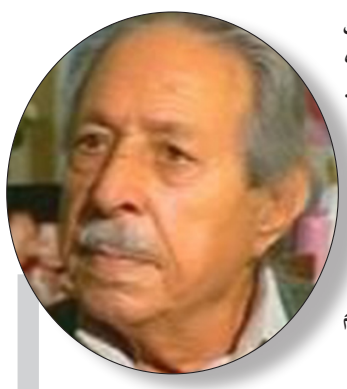

عدا تجربة الفيلم المشترك (القاهرة بغداد).. يبقى فيلم (عليا وعصام) يشكل رمز البداية الشابة الجادة... لوجوه الفتيات والفتية الذين تخرجوا في معهد الفنون الجميلة ولرواد المسرح العراقي مثل يحيى فائق وعبد الله العزاوي وفوزي محسن الامين. وبطل الرواية ابراهيم جلال، للدور الاول- عصام- وجعفر السعدي لدور (الاب المهيب)..

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

جعفر السعدي . . مسيرة حافلة بالتألق

سامي عبد الحميد

فنان عراقي راحل (ممثل ومخرج مسرحي) ولد في قضاء الكاظمية ببغداد عام يوم ١٩٢١/١٢/٢٤م ،وشاهد أول عرض مسرحي وهو صغير عام ١٩٣٠ عندما عرض مسرحية (ذي قار أو ذيول صفين) في مدرسة المفيد الابتدائية التي كانت قائمة في مدينة الكاظمية وهذه المسرحية من تأليف سلمان الصفواني احد رواد الصحافة المبرزين في العراق والوزير فيما بعد ،وفي عام ١٩٣١ تعرف على الفنان الكبير الراحل حقي الشبلي ويشاهد مسرحيته (شهامة العرب) التي اخرجها الشبلي وعرضها لمنفعة مدرسة المفيد الابتدائية في مدينة الكاظمية وقد شغف بالمسرح منذئذ فصعد اول مرة على خشبة المسرح عام ١٩٣٤ كممثل في عروض مسرحية مدرسية، واشترك في العديد من الاعمال المسرحية ،وانضم بعدئذ إلى اللجنة الفنية التي شكلتها جمعية بيوت الامة في الكاظمية والتي كانت يترأسها يوسف حبيب ثم تلاه هاشم البياع وقد عرضت هذه الجمعية العديد من المسرحيات الاجتماعية والسياسية عام ١٩٤١، وقد قصد من تمثيل هذه المسرحيات تصوير الفساد الذي عم العراق ابان الحكم العثماني والاثر السيئ الذي تركه هذا الحكم افعال الشرطة (٤) حيث كشف هؤلاء الكتاب في مسرحياتهم عن امراض المجتمع معالجات هؤلاء كانت بسيطة وساذجة في بعض الأحيان ويطغى عليها الاتجاه الوعظي الوطني ،وفي عام ١٩٣١ تعرف على الفنان الكبير الراحل حقي الشبلي ويشاهد مسرحيته (شهامة العرب) التي اخرجها الشبلي وعرضها لمنفعة مدرسة المفيد الابتدائية في مدينة الكاظمية وقد شغف بالمسرح منذئذ فصعد اول مرة على خشبة المسرح عام ١٩٣٤ كممثل في عروض مسرحية مدرسية، بعد أن اكتسب جعفر السعدي خبرة فنية وتعمق لديه الوعي الفكري ومكانة واهمية المسرح التحق بمعهد الفنون الجميلة في بغداد وتخرج فيه عام ١٩٤٥ وكان ضمن الدورة الأولى ومن زملائه في المعهد ودورته المخرج ابراهيم جلال، ونتيجة لحبه وشغفه بالمسرح فقد شارك في تأسيس (الفرقة الشعبية للتمثيل) والتي اجيزت رسمياً بتاريخ ١٩٤٧/٨/١٢ وكان اول رئيس لها عبد الكريم هادي الحميد المحامي. بعدها تبين للسلطات الحكومية ان هذه الفرقة تشارك في العمل السياسي وفي التظاهرات التي عمت العراق في اواخر الاربعينيات من القرن الماضي خاصة انها عرضت مسرحية (شهداء الوطنية) فقد توقف نشاطها عام ١٩٤٨ ،وانضم بعدئذ إلى اللجنة الفنية التي شكلتها جمعية بيوت الامة في الكاظمية والتي كانت يترأسها يوسف حبيب ثم تلاه هاشم البياع وقد عرضت هذه الجمعية العديد من المسرحيات الاجتماعية والسياسية عام ١٩٤١، وقد قصد من تمثيل هذه المسرحيات تصوير الفساد الذي عم العراق ابان الحكم العثماني تم تعيينه عام ١٩٥٠ في دار المعلمين الريفية كأول مدرس للتمثيل في دور

المعلمين في العراق ويتم انتخابه سكرتيراً للفرقة الشعبية للتمثيل بعد اعادة نشاطها الفني ثم يصبح مدرساً في قسم التمثيل والاخراج في معهد الفنون الجميلة بعد ان نقل اليه من دار المعلمين الابتدائية في الاعظمية ويبقى في المعهد لغاية عام ١٩٥٧، لقد اعيد انتخابه سكرتيراً للفرقة الشعبية للتمثيل التي تم الغاء اجازتها بموجب المرسوم المرقم ١٩ لسنة ١٩٥٤ مع عشرات من الاحزاب السياسية والجمعيات الاجتماعية والفنية والصحف الوطنية بسبب المواقف الوطنية التي وقفتها هذه الفرقة من الاحداث التي جرت في العراق في حينه ،تزوج جعفر السعدي عام ١٩٥٦ من السيدة ماجدة عبدالقادر (ماجدة السعدي) هي فنانة معروفة ومتميزة بدأت رحلتها الفنية عام ١٩٤٩ عندما كانت طالبة وقد مثلت في مسرحية (القبلة القاتلة) لجمعية بيوت الامة، تحق جعفر السعدي بالبعثة العلمية الى الولايات المتحدة الامريكية للحصول على شهادة الماجستير في الاخراج المسرحي وذلك من معهد الفنون في شيكاغو ويعود الى العراق عام ١٩٦١ حاملاً شهادة الماجستير ويعاد تعيينه في نفس العام مدرساً لمادة الاخراج والتمثيل في معهد الفنون الجميلة وينتخب مجدداً سكرتيراً للفرقة الشعبية للتمثيل ،اسس عام ١٩٦٣ (جماعة سمير اميس للتمثيل) وبقيت هذه الفرقة لغاية عام ١٩٦٤ بعد صدور قانون الفرقة التمثيلية في نفس العام المذكور حيث ينتقل الى التدريس في اكاديمية الفنون الجميلة التابعة لوزارة المعارف في حينه ويبقى فيها لحين الحاق هذه الاكاديمية بجامعة بغداد عام ١٩٦٧،اعيرت خدماته الى المحكمة العربية السعودية لمدة عام اعتباراً من ١٩٦٧/١٠/٧ وعاد بعدها مدرساً لمادة التمثيل والاخراج في اكاديمية الفنون الجميلة، وبالنظر لمكانته وانجازاته الفنية والفكرية فقد تم اختياره مع الفنان يوسف العاني كعضوين في لجنة اليونسكو عام ١٩٦٩ حيث عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها في القاهرة لاختيار احسن كاتب مسرحي من الشباب عام ١٩٧٤ ، وتثميناً لجهوده الفنية والابداعية اختير رئيساً لقسم الفنون الجميلة في الاكاديمية وكان هذا القسم يضم فروع المسرح والسينما والتلفزيون والاذاعة والتربية الفنية وبقي في هذا المنصب لغاية عام ١٩٨١ ، لقد تم انتخابه رئيساً لغرفة المسرح الشعبي لعدة دورات وبقي في هذا المنصب لغاية عام ١٩٩٣،وفي عام ١٩٧٨ شارك في المؤتمر العالمي المنعقد ببرلين عن الكاتب المسرحي الالماني الشهير برتولدبريخت وذلك ضمن الوفد العراقي الذي تألف من جعفر السعدي وابراهيم جلال واحمد فياض المفرجي واديب القليتجي، بعد عطاء مستمر وابداع واضح لا ينضب لمدة اربعة عقود من الزمن والعمل المضني والجهد الذي لا يقل احيل جعفر السعدي على التقاعد بتاريخ ١٩٨٢/٧/١ ، ويحصل في نفس العام على جائزة افضل ممثل في الدورة الثانية والعشرين لمهرجان براغ الدولي للاعمال الدرامية التلفزيونية حيث شاركت في هذه الدورة (٤٥) دولة من انحاء العالم وذلك عن دوره في تمثيلية (الهجرة الى الداخل) تأليف : عبدالوهاب الدايني واخراج : الفنان المعروف المبدع خليل شوقي ، منحته فرقة المسرح الشعبي شهادة تقديرية لاسهامه الفعال في رفع شأنها وتثميناً لمسيرته الابداعية على مدى اربعين عاماً . وتواصلاً مع هذا العطاء والابداع فقد ترأس بعثة فنية في شهر كانون الاول ١٩٩٢ من فرقة المسرح الشعبي الى الاردن لعرض ثلاث مسرحيات هي (صراخ الصمت الاخرس) تأليف محيي الدين زه نكنه و(الانشودة) تأليف : آربوزوف (ترنيمة الكرسي الهزاز) جميعها من اخراج الدكتور عوني كرومي . وفي عام ١٩٩٣ تم تتويجه كرائد من رواد حركة المسرح العربي في مهرجان قرطاج المسرحي باعتباره شخصية لامعة من شخصيات المسرح العراقي واحد المساهمين في تدعيم الحركة الفنية المسرحية في العراق والعالم العربي . شارك في عدد من الاعمال السينمائية ابرزها : (عليا وعصام ١٩٤٨) و(ليلى في العراق ١٩٤٩) و(سعيد افندي ١٩٥٧) و(الجابي ١٩٦٨) و(المسألة الكبرى ١٩٨٢) و(الملك غازي)، كما اخرج العديد من المسرحيات نذكر منها : (يوليوس قيصر) و(رقصة الاقنعة) وغيرها من الاعمال المسرحية.

محتويات:

١. افلامه السينمائية:
فيلم (عليا وعصام ١٩٤٨)
فيلم (ليلى في العراق ١٩٤٩)
فيلم (الجابي ١٩٦٨)
فيلم (المسألة الكبرى ١٩٨٢)
فيلم (الملك غازي ١٩٩٣)

٢. المسرحيات التي مثلها
مسرحية (نفوس) إخراج الراحل : قاسم محمد.
مسرحية (الإنسان الطيب) إخراج الراحل : عوني كرومي.
مسرحية (عقدة حمار) إخراج : فاضل خليل.
مسرحية (هوراس) إخراج الراحل : عوني كرومي.
مسرحية (حلم أبو حمدان) اعداد وإخراج : د. عبد المرسل الزيدي. (وكانت هذه اخر مسرحية مثل بها).

٣. الاعمال المسرحية التي اخرجها (كشخة ونفخة)و(الدب) و(هاملت عربياً) و(عرس الدم) و(أشجار الطاعون) و(يوليوس قيصر) و(اوديب)واخرها(رقصة الاقنعة).

بعد أن اكتسب جعفر السعدي خبرة فنية وتعمق لديه الوعي الفكري ومكانة واهمية المسرح التحق بمعهد الفنون الجميلة في بغداد وتخرج فيه عام ١٩٤٥ وكان ضمن الدورة الأولى ومن زملائه في المعهد ودورته المخرج ابراهيم جلال،ونتيجة لحبه وشغفه بالمسرح فقد شارك في تأسيس (الفرقة الشعبية للتمثيل) والتي اجيزت رسميا بتاريخ ١٩٤٧/٨/١٢ .

عن كتاب المسرح العراقي في قرن الذي سيصدر قريبا للكاتب

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

صورة فريدة للفنان جعفر السعدي

باسم حنا بطرس

بعد وفاة الفنان المسرحي الرائد جعفر السعدي، إهتم الإعلام في حينه بالحديث عن ريادة هذا الفنان الذي شهدت له الساحة المسرحية العراقية حضوراً متميِّزا لما يربو على سبعة عقود من الزمن. واليوم، أقلِّب بعض صفحات الزمن المنصرم، لأعرضَ صورةً أسميتُها « فريدة»، لكونها فريدة حقاً لم يجرِ نشرُها في السابق، ولا تحدَّثت الصحف عن الحدث الفريد المرتبط بالصورة.

المكان : ساحة كرة السلَّة لثانوية الكاظمية،

الزمان : صيف العام ١٩٤٧،

المناسبة: عرض مسرحية (القبلة القاتلة) لكاتبها أندريه مَوروا.

الإخراج: جعفر السعدي.

تمثيل : طلبة فرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة ببغداد.

حديث الصورة:

تظهر في الصورة مجموعة من الفنانين الروّاد الذين حضروا العرض المسرحي، ندرج أسماءهم بحسب ما تسعفني الذاكرة، وعلى النحو الآتي، من اليمين إلى اليسار:

١. الجالسون على المقاعد: الرابع إلى اليسار راعي الحفلة الوالد حنا بطرس (١٨٩٦ – ١٩٥٨) وإلى يساره شقيقي الأصغر سمير، وإلى يمينه جعفر السعدي، وبعده عبر شخص آخر عزيز علي، وفي نهاية الخط إثنان من عازفي العود، شُوِّع (؟) ويعقوب يوسف.

٢. الجالس على الأرض إلى أقصى اليسار: رضا علي (الذي كان طالباً في فرع التمثيل في المعهد).

٣. الواقفون: الخامس في الخط سالم حسين (عازف القانون)، والسابع في الخط (باسم حنا بطرس)، كاتب هذه المتابعة.

حرائق المسرح

منذر حلمي×

ما ان قررت الكتابة – بمناسبة يوم المسرح العالمي – عن اخر عمل لي ، قبل مغادرتي الوطن اضطرارا في مستهل عام ١٩٧٩ ، حتى تزاحمت الافكار واختلطت المشاعر، وطفحت الى السطح ذكريات المشاوير الاخيرة قبل الرحيل – ذهابي مع صديقي الفنان القدير علي فوزي لالقاء نظرة الوداع، ربما الاخيرة، على بناية المسرح الوطني ، الذي لم يكن قد افتتح بعد ، لحظات الصمت الموجعة في اخر زيارة لفرقتي – مسرح اليوم – ، لقائي بالراحل الكبير جعفر السعدي ، عندما زرت مسرح بغداد ، اثناء اجراء فرقة المسرح الشعبي التمارين على مسرحية – رقصة الاقنعة – تاليف الشاعر شاكر السماوي واخراج جعفر السعدي ، والتي اضطر العديد من كادرها الفني الى الاختفاء او مغادرة العراق ، كالفنانة الكبيرة وداد سالم والفنانين المعروفين اديب القليه جي وفلاح شاكر ، بسبب اشتداد حملة ملاحقة المثقفين ، بعد ان اسفر الفرد المستبد عن نياته المريبة في تشويه الثقافة وتزوير التاريخ ومصادرة حرية الاخر المختلف . الامر الذي حدا بالراحل جعفر السعدي ان ينفرد بي ويهمس في اذني – انه يحرق العراق ، والمؤلم يامنذر اننا لا نستطيع اطفاء الحرائق – ذلك ما قاله الراحل آنذاك ، على الضد من اولئك الذين امطروه بالاسماء الحسنى وحاولوا اضفاء الشرعية على قتله المنظم للانسان جسدا وروحا . والمؤلم هنا ، ان الحرائق مازالت مشتعلة ، يتطاير شررها أرهابا ، طائفية وفسادا ، وربما تتاح لي الفرصة في مقام اخر لاتحدث بتفصيل اكثر عن معالم تلك المرحلة.

× فنان مسرحي مقيم في السويد

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

جعفر السعدي والواقعية الشعبية

د. عقيل مهدي يوسف

جعفر السعدي والواقعية

غالبا ما يجري الحديث عن روادنا باطار العموميات، دون ذكر المرتكزات التي ثبتوها علامات دالة في واقع مسرحنا.. وجعفر عمران السعدي واحد من الذين اصطلح عليهم بالرواد، حقق لنفسه مسارا واقعيا بعد ان درس على يد الشبلي وبعد ان اكمل دراسته في اميركا وربما كان اختياره للواقعية مرتبطا بالبيئة التي ارادها ان تفهمه فخاطبها بما درجت عليه من اساليب الخطاب، ولايخفى ان للواقعية أوجها عدة، منها ما يتعلق بشاعرية الفن ومنها ما يتعلق بالالتزام او بالصيغ الاسلوبية والتجربة..الخ

ولكي نفهم واقعية السعدي، نتوقف عن كيفية تعامله مع الفن والحياة ونتحدث عن تجاوزه لتلك الاطر الطبيعية الضيقة في بداية مسيرته الفنية، بالرغم من ان تشكل استجابة تاريخية مطوية في زمنها – لنصب معه الى تلك التجارب الواقعية المنفتحة على الحياة، بشكل اكثر غرابة وتنظيما، لاسيما في علاقتها بالمشاكل والاتجاهات والاساليب المعاصرة في مسرحنا، ان تطوره منذ ان شاهد اول مرة مسرحية ذي قار أو ذيول صفين، الى الان قد مر بمراحل عديدة ولكن هذه المسرحية التي شاهدها عام ١٩٣٦ من تأليف سلمان الصفواني، فتحت مواهبه على قيم قومية وفنية.. وبعد ذلك شاهد مسرحية عن زرقاء اليمامة وفيها الكثير من الافكار الادبية والسياسية ، ان هذه الخيالات التراثية، العذبة جذبت لصبي ليسهم في مسرحية مثلنا الاعلى، لعبد المجيد عباس في مدرسة المأمونية (اخرجهم ابراهيم المعروف) وهي مسرحية تنادى (بالوحدة العربية) اما في (مظالم الاستعمار) وهي عن الاستعمار الايطالي لليبيا فقد ادى دور الجندي وبعد ان وقع في يده ختم احدى الجمعيات المسموح لها بممارسة المسرح، شكل فرقة من الهواة، وذهب بهم الى بعقوبة.. (لم يكن متفرجوه سوى سكير واحد..) وبعد ذلك اشترك مع الشبلي في تقديم المسرحية الشعرية (فتح الاندلس) لمحبي الدين الخطيب، واختاره الشبلي بعد الدراسة المتوسطة للعمل في دار المعلمين لتكسر يده اليمنى وهو يتسلق جدار المسرح الصلب.. من اعماله المبكرة (فلوس) وهي مسرحية مترجمة عن التركية.. مؤلفها عبد الله فاضل، استطاع ان يحافظ فيها على (الافكار الاشتراكية) وفي حينها كان العراق يغلي كالمرجل، ليبارك (ثورة يوليو) في مصر وطوق المسرح بالحراب المقبورة، ولكن الضربة المسرحية قد نفذت. اما الحديث عن التكنيك الفني، فان الفطرة كانت هي الغالبة، وفي ذلك الوقت الذي لم تكن فيه الكتب الاختصاصية متوفرة، حصل عن طريق المصادفة على مجلد يضم المسرحيات الاتية (افول القمر –فاو ست –الدب– المفتش العالم) ، عندما زار (محمد توفيق) هو وفرقته المصرية العراق في عام ١٩٤٤ وهذا الامر يلقي ضوءاً على اسباب عودة السعدي الى اخراج هذه المسرحيات.

منهجه الفني

ثمة خصلة يتحلى بها السعدي، هي ادراكه لخطورة اللغة الفصحى، ولا يلتقي معه في هذه الخصلة من جيل الرواد سوى الفنان الاستاذ جاسم العبودي أما فيما يتعلق بالاسس التي يجدها حاسمة في عمله النظري والتطبيقي فهي.. الوضوح –البساطة– الجمال (ويفهم من الجمال لا التشكيلات والتكوينات المبهرة، وانما كل ما يتعلق بالحوار والحركة والايماءة ووضوح الافكار في كل مشهد مهما كان مضمونه كي يصل الى المتفرج بطريقة عفوية ويستطيع الناقد ان يطبق عليه منهج (سانت بيف) ليرى شواهد عديدة عن كيفية انعكاس شخصيته على فنه، فهو صريح في خطته الاخراجية وواضح وبسيط لكنه يفكر بشخوصه كثيرا ويستبطن عوالمها ليكشفها لجمهوره الذي يتصوره على شاكلته، (جمهور) يهفو الى الاصلاح ، كلما تلقى المأثرة التي يقدمها العرض.

انه ينتقل من الخاص الى العام، ومن الفردي الى النموذجي، فهو يجد في تصرفات شخصياته المسرحية، تصرفات أناس واقعيين يعرفهم تفصيليا وسبق له ان عرفهم في المدينة والقصبات النائية، انه يحذر شخصياته من الصلف والغرور ويرغب في الرد على تزمت البيئة لا بالمعنى (التناحري) بل بلغة نظر الاخر من خلال الذات وجعلها ميدانا تجريبيا: تظهر فيها الاخطاء، قلنا فيما مضى انه حريص على اللغة ومن حرصه انه يضع ثقته المطلقة بمعاجمها..وهذا الحرص تعلمه من رائد المدرسة الواقعية، ستانسلافسكي الذي يعده حجته العليا فهو (القواعد) وهو (الحق) وهو الذي يعطيك الواقعية بكل شيء وبشكل تلقائي، كما ان السعدي مثل استاذه يحرص على الايهام، او محاكاة الواقع، لان ذلك ضروري لمجتمعنا على وجه الخصوص، ولانه ما زال بحاجة للابهار، وكذلك فانه يحترم السلوك الطيب للفنان، ويدعو ان يكون (الممثل متصوفا وقديسا)، لقد شغلت السعدي موضوعات كثيرة فهو في (عذراء اللورين) يكشف عن تألب الشر على الخير، وفي (الدب) بين ان غريزة المرأة عندما تحب تنتصر على صفاتها المكتبية ، كما تفرط الشمعة بقوامها الجميل من اجل الضوء، وفي بيت الدمية، ينتصر لحريتها في محاولة اثبات وجودها في البيت، اما في (اوديب) فلم تكن له رؤية جديدة سوى التركيز على (طرازها) الاغريقي، وفي (القيثارة) يبين ان الحب لايعرف

ان النصوص التي يشتغل عليها السعدي تمتاز بسلامتها الفنية وبأفكارها المقبولة، والمطروحة للنقاش، وهو يتأنى كثيرا في اختيارها بحيث تتوافر على البواعث و الدوافع المقنعة والتي ترتبط نتائج افعالها بمقدماتها المنطقية المقنعة. وهو يحرص على الثقافة المسرحية الكلاسيكية ويحاول ان يحصل على صورتها في نصوص محلية..

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

الحدود ولا القيود، وفي (شهرزاد) استنبط معاني العرض من النص، حيث فسر شهرزاد بأنها (الطبيعة) تحيط نفسها بالغموض لتجعل الانسان يسعى لاستكناه غموضها، ومن خلال هذا المسعى يحدث التطور، ونذكر ان توفيق الحكيم فرح كثيرا باصداء نجاح المسرحية جماهيريا والتي حدثه السعدي عنها وفيما استخدمه من طرائق الخدع المسرحية من طيور الظلام والرأس المقطوع، وحالات التمسرح كلها في الالوان، والديكورات والغناء والرقص ، وتمنى الحكيم ان يكون المخرجون المصريون معه ليسمعوا هذا الكلام السار!! اما في (اشجار الطاعون) فأنه يدرك بأن حلوله ما كانت صائبة بان يجعل المرأة تحرق البستان، لكنه يوافق هواه على ان الانسان في مجتمع قاس لابد ان تظهر فيه الخيارات (الفردية) اضطرارا وتعبيرا عن القهر، لتوصيل صوت الحق الى الاخرين، وفي (فندق الغرباء) ذهب السعدي مع ملاكه الى مدينة (بعقوبة) لمشاهدة ذلك الفندق الحقيقي الذي تدور الاحداث فيه، وناقش المؤلف (ثامر مطر) عن الحوار والشخوص، وخفايا الصراع ، مقتفيا بذلك اثر ستانسلافسكي ، لقد جعل من ابطاله المشردين رجالا كبار الروح، يجتمعون عند الشدائد، ويثورون ضد تلكم النفوس المتسلطة الحقودة، وفي (رقصة الاقنعة) يصل الى ان الغريزة تنتصر على السلوك السوي بفعل الجبر والضرورة لهذا يتعاطف مع (المرأة برغم سقوطها في الرذيلة)، ان ام ربيع تلجأ الى ابي كامل اضطرارا حتى تواصل العيش بعد ان انسحب زوجها (منتحرا) من حياها، ولاينم مسلكها هذا عن نزوة شائنة بل هو تطمين لحاجة حيوية، لم تجد وسيلة سواها.. في (السائل والمسؤول) لبدري حسون فريد يتعاطف مع (البطة) وان بدا في موضع من يقسو عليها بعد ان فضل لها (الجنون) وجعلها تهيم بالطرقات لغلطة ما كانت مسؤولة عن اقترافها، وأبقى مصيرها معلقا بانتظار عقاب أهلها الدموي بلا أمل من ناصر أو معين! وبذلك يجعل من خبلها دلالة شاخصة تصفع التقاليد التي عفا عليها الزمن.. وناقش الفكرة ذاتها في (عرس الدم) للوركاء، ليجعل من بطلته ملاكا طاهرا و البطلة اذ تفسر مع عشيقها في ليلة العرس، تربك بفعلتها هذه عوالم الاهل المغلقة، ولا أظنني بحاجة الى مزيد من الشواهد لاثبت صراحة السعدي في (تحيزه للمرأة) وفي ايجاده الاعذار حتى لزلاتها، لانه يجد الحكمة والعبقرية حتى في (غريزتها)...وهو يمزح معها، ويغازلها من طرف خفي مع تشيخوف في (الدب) وهي في ملابس الحداد، وفي عمله المرتقب (الليلة الثانية بعد الالف) يرمز لفلسطين (بشهرزاد) التي تبحث عن منقذ وتختار الانتحار، ولكنه يستدرك ذلك (بالتخفيف) من هذه النهاية الفاجعة.

ان النصوص التي يشتغل عليها السعدي تمتاز بسلامتها الفنية وبأفكارها المقبولة، والمطروحة للنقاش، وهو يتأنى كثيرا في اختيارها بحيث تتوافر على البواعث و الدوافع المقنعة والتي ترتبط نتائج افعالها بمقدماتها المنطقية المقنعة. وهو يحرص على الثقافة المسرحية الكلاسيكية ويحاول ان يحصل على صورتها في نصوص محلية.. ولا يخفي سعادته في (رقصة الاقنعة) لانه وجد بطلها يحمل صورة من (هملت) برغم ان مشكلات النص تدور في عراق الخمسينيات حينما كانت الافعال الخيرة تصطدم بالوضع المتهريء للانظمة الفاسدة.. ولكن هل ثمة مغالاة في ان تحمل الصورة صدى خفيفا لنصوص عالية، وتثقل بتفاصيل مضمونية كثيرة غريبة عنها؟ ان للسعدي قناعته في ذلك.. وله تبريراته..

اما موقفه من التجريب:فهو لايصغي الا لاساليب الطريقة الستانسلافسكية ويعد المستجدات فرعا من شجرتها الباسقة، ويرى ان الاعمال المسرحية تنقسم إلى كتلتين في الصراع، وهما: كتلة البطل "البروتوجانيست" وكتلة البطل المضاد، وما كان غرضه التجديد في يوليوس قيصر ولكنه وجد نفسه بعد ادامة الصلة بنص شكسبير ، حائزا شواهد كثيرة، تسوغ له حذف بعض الحوارات، والفن في نظره سحر في سحر" وهذا ما كان منشغلا في تحقيقه، لا بقضايا التجريب وهمومه، كما وجد ان شكل الصليب الموصل بين الخشبة واتصاله يجعل المتفرج قبالة الاخر، الامر الذي سيضطره على مراقبة سلوكه، وتصحيحه وتريثه في ردود أفعاله، وسيسلك سلوكاً متزناً لانه يدرك انه مراقب من قبل الجالسين امامه، وهو لايستطيع ان يحكم على مدى نجاح التجديد بالرغم من دوره، المهم في تحديث مسار المسرح في العراق..

هذا ما أكده في الستينيات..ويعرف ان مسرحنا لايعاني من المستوى الفني أو التقني، فلدينا اعداد كبيرة من المخرجين الجيدين والممثلين الجيدين من دون ان يكون لدينا عدد كاف من الكتاب الجيدين، وبطبيعة الحال ان عدم توفر صالات العرض قد يعيق الكثير من المشاريع المسرحية، وقد يكون سببا في انحسار مؤلفين مسرحيين عالميين عن مسارحنا ولكن السؤال: احقا ان التقنيات الالية تقف وحدها حائلا امام مسرحنا ليكون عالميا؟! من دون شك ان السعدي يدرك ذلك جيدا، فيما لو كان مسرحنا يسير وفق برمجة وتخطيط علميين، لايغفل الفعل الحياتي المتطور للجمهور، أو يشيح عن ذوقه الجمالي، كما ولا ينسى دوره القيادي في خلق شروطه هو ايضا.. بالتأكيد ان مسرحنا العراقي قطع شوطاً كبيراً منذ الستينيات الى الان.. انه محق في الا يفهم من (التجريبية) سوى كونها رؤية لدى الفنان الكبير، وانها تأتي بعد القاعدة وهي لا تصبح مشروعة الا بعد ان تثبت ضرورتها.

لم يكن السعدي راغبا في توثيق اعماله، ولا ندري هل بامكاننا ان نبني الاعمال الفنية على مراحل من دون ان تعتريها النواقص؟ لاسيما في مراحلها الاولى؟ نقول هذا هو المطلوب، والا ستخسر الاجيال شهادة (تاريخية) مطلوبة، ان الحاجات تتغير كذلك التقنيات تزداد ثراءً امام الذي يأخذ نفسه بالتثقيف والاطلاع، حتى ان ابقى على ابداعاته الشابة تحمل اندفاع وحمية تلك المرحلة ، ان الرغبة في التكامل وتجاوز العيوب، هي جدل المبدعين جميعا وهي التي جعلت السعدي واحدا من ابرز مخرجينا الواقعيين في العراق.

صفحات من سيرة فنان رائد

يوسف العاني

منذ بداية الانتاج السينمائي في العراق، وتحديداً منذ فيلم (عليا وعصام) والذي اعده البداية الحقيقية للانتاج السينمائي العراقي، حيث كان الانتاج عراقياً برأس مال عراقي، بعد ان شيد ستوديو بغداد بأمكاناته المتواضعة والكافية في ذلك الوقت للانتاج من الناحيتين التقنية المطلوبة والفنية التي تعتمد على عناصر ذات خبرة متواضعة ايضاً لكنها حريصة على ان تتعلم وتتعاون مع كفاءات يستعان بها عادة في بدايات العمل السينمائي في بلدان مازالت في اول الدرب.

عليا وعصام كان البداية بموضوع وبعناصر شابة او العناصر الفنية الاخرى حين شاركت في القاهرة بغداد.. الانتاج المصري العراقي والذي أفتعل موضوعه ليجري التصوير في البلدين مصر والعراق.. ويطعم بفنانين عراقيين ظل حضورهم في الصف الثاني بعد العنصر المصري.. عليا وعصام وأؤكد مرة اخرى كان البداية.. وكان بداية لممارسة جادة لشباب.. تخرجوا في معهد الفنون الجميلة فرع التمثيل والاخراج.. ووجوه جديدة ولاسيما في مجال العنصر النسائي.. ورواد مسرح عرفوا بموقفهم وموقعهم في المسرح العراقي مثل يحيي فائق وعبد الله العزاوي وفوزي محسن الامين وغيرهم.. ووقف معهم.. ابراهيم جلال للدور الاول- عصام- وجعفر السعدي.. الاب المهيب.. حامل تجربة فن التمثيل والقادر علي ان يكون (نغمة) عالية العزف عميقة الاثر خالية من (النشاز) بعيدة عن التشنج او التكلف.. خالصة الاثر المسرحي الشائع انذاك في ان تكون مبالغا بادائك متكلفا ومغاليا بتعبيرك.. فتحول الشخصية التي تؤديها الي نموذج خال من الاقناع بعيد عن اقتناع المشاهد بها. جعفر السعدي في اول فيلم سينمائي يمثل فيه (عليا وعصام) عام ١٩٤٩.. كان نسخة رقراقة هادئة حتي في انبهارها او انفعالها العميق.

كان جعفر يدري كيف يتعامل مع الكاميرا ويدري في ذات الوقت كيف يتعامل مع الممثل الذي يقف امامه ليكون الفعل ورد الفعل متوازياً متوازناً بلا غلو او سرقة للمشهد- كما كانوا يسمونه انذاك.

ايقاعه وحركته في فيلم (عليا وعصام) كانتا محسوبتين منضبطتين.. وكأنه اي جعفر- قد مثل في عشرين فيلماً او اكثر.. وهذا هو الاحساس الفني للاداء المدروس واستيعاب الشخصية والابداع الذي يبدو عفوياً بلا إدعاء. بعد سنوات وفي عام ١٩٥٦.. كان جعفر السعدي معنا في مشروع سينمائي جديد مثل (الحلم).. شباب كلنا نريد ان نأتي بمحاولة جديدة جادة وممتعة نقية القصد امينة الهدف تتعامل مع انساننا العراقي بصدق ومحبة في ان يجد نفسه علي الشاشة حياة حقيقية حلوة في انتزاعها منه، واعطائها له.. عملية فنية تمتزج بفكر تقدمي يلمس الواقع بنعومة ويرسم خلفيات ذاك الواقع بوعي من أجل ان يحيله الي نمط فيه الجديد الخالي من الكذب والبهرجة الزائفة.

كان ذاك (الحلم) سعيد افندي

دخل جعفر معنا مجموعة مسؤولة عن كل خطوات العمل.. وعن كل النتائج مهما كانت صعبة او خطرة.كان اضافة الي دوره (الاسكافي) مسؤولاً عن الانتاج مع عبد الكريم هادي الحميد كما كان ابراهيم جلال مسؤولاً عن الاخراج مع كاميرات المخرج.. وانا ممثل دور سعيد افندي وكاتب السيناريو والحوار.. وواحد من اللجنة الخماسية المسؤولة عن الفيلم اشرافاً وتخطيطاً.. ومسؤولية - كما اشرت- وحين قررنا البداية.. اقسمنا نحن الخمسة.. علي ان لانبقي في الفيلم (خطأ) نحس به او نعرفه.. أي الا يكون في عملنا(غش).. اما اذا فاتنا ذلك الخطأ ولم ندركه او نعرفه.. فذاك امر آخر ليس فيه قصد او نية سيئة. وكان القسم بصوت (جعفر السعدي) ونحن نردده بعده..! وراح كل الي عمله.. اما جعفر فقد كان يحضر التصوير يومياً يبعد من يقترب من مكان التصوير بكل ادب.. ويشرح له اهمية هذا الفيلم ويدعوه للتعاون معنا.. وحين يأتي دوره يعود ذاك الإسكافي الانسان البسيط الطيب يملأ الشاشة حناناً وصدقاً وحيوية لاتنسى فكان وحتى اليوم حين نستذكر ما كان يضعه واحداً من دعامات فيلم سعيد افندي.

فنان بين المسرح والسينما

جعفر السعدي في السينما- كما المسرح- ليس سهلاً في قناعته في ما يؤدي او يقدم.. ممثلاً او مخرجاً.. فبعد سعيد افندي الذي عرض عام ١٩٥٧.. لم يشارك الا في فيلم (الجابي) الذي انتجته دائرة السينما والمسرح.. من اخراج جعفر علي.. السينمائي المثقف عام ١٩٦٨.. تقدم بتواضع ومثل الدور بهدوء ورقة وحميمية عالية ومعه زميله اسعد عبد الرزاق واخرون من ممثلي مسرحنا العراقي ليرسم في الذهن صورة ذاك العراقي الطيب بطريقته السلسة والمؤثرة والتي لايمكن للمشاهد الا ان يعشقها.. ومثل بعد ذلك في فيلم (المسألة الكبري) عام ١٩٨٣.. وحين تقدم محمد شكري جميل يدعوه لتقديم دور متواضع في الملك غازي- عام ١٩٩٣- دور السفير الروسي.. قبل.. وملأ الشخصية، وتجاوز متطلباتها بكل احترام وكفاءة.

باختصار شديد وانا ادري ان الحديث عن جعفر السعدي حديث لاينتهي ، ولاسيما في المسرح.. ثم التلفزيون.. اثرت ان اتحدث بايجاز عن دوره الرائد والمبدع في خمسة افلام من كم كبير في العدد قدمت وانتجت عبر سنوات تجاوزت الاربعين.. فقد كان جعفر في هذا (الكم) القليل جداً كبيراً عميق الحضور شديد الاثر في نقل الحقيقة الفنية كما اسميها- ليرسم الانموذج العالي والصادق.. للفنان العراقي الذي يتحمل الابداع مسؤولية شريفة وكريمة.. كي يتكلمها الاخرون درساً قد لايجدونها الا عند القلة القليلة من فناننا الرواد وكذلك الشباب. وما حديثي المتواضع هذا الاجزء من وفاء نشعر به جميعاً وقد فارقنا.. الفنان والانسان والمربي جعفر السعدي- رحمة الله عليه-

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

شيخ المسرحيين . . الفنان جعفر السعدي

د. فاضل سوداني

غيب الموت الفنان جعفر السعدي بعد عمر عاش فيه ازدهار وخراب المسرح العراقي وكان من الاوائل الذين ركنوا في البيت في عهد النظام السابق من اجل الا يفقدوا جذوة المسرح في روحهم ولا يساوموا على نقائهم وفنهم. مات الفنان وهو يختزن العراق في روحه، واضطره هذا الى ان يبتعد عن فنه (الذي كان منفاه) مجبرا لان المسرح الذي كان يعرفه وتربى عليه غير المسرح الذي خطط له في عهد النظام السابق، وايضا ليبتعد عن (زوار الليل)، لكنه في كل هذا كان يختزنه في روحه وينظره من بعيد من زاويته التي اختارها بإرادة منه وهو حزين. مات عميد المسرحيين العراقيين بعد موت زوجته الفنانة ماجدة السعدي بفترة قليلة، بعد ان اطلقت وزارة الثقافة العراقية على الدورة الاولى لمؤتمر الثقافة العراقية اسم جعفر السعدي تكريما له. ولحرصه على حضور المؤتمر الذي شهد وفاته وهو جالس وسط حشد من المثقفين يشاهد فقرات حفل الافتتاح.. يا الهي هل كنا على غفلة ؟؟ هل كان هذا مزحة القدر او الموت ليستفزنا ويمتحن قدرة الفنان على تحمل حياة موحشة يكتظ بها الجنون والحرب واليتامى وموت الاعزة، موت شريكة حياته وتلميذته التي اعتلت المسرح في زمن كان يحرم فيه الفن. لكنه كان دائما ذلك الفنان الابي الذي يتسامى علينا جميعا وعلى احزانه الخاصة. ومنذ بداياته الفنية الاولى كان هدفه واضحا هو ان يساهم في تاسيس المسرح العراقي، فكان هو ومجموعة اخرى من الطلبة الهواة انذاك يقدمون مسرحياتهم في المدارس، يؤجرون التخوت من المقاهي ليجلسوا الجمهور عليها، ومن اجل دعم جمعية بيوت الامة الخيرية، اسس فرقة مسرحية لتقديم اعمال مثل مسرحية (نهر الجنون) لتوفيق الحكيم، ومسرحية اخرى باسم (وفاء). كان احد المؤسسين للفرقة الشعبية للتمثيل عام ١٩٤٨ ومن خلالها قدمت الكثير من الاعمال المسرحية بالتعاون مع ابراهيم جلال وعبد الجبار ولي وخليل شوقي اهمها مسرحية شهداء الوطنية. وكان له الفضل الاول في تاسيس فرقة المسرح الشعبي وكان رئيسها حتى اخر لحظات حياته، وعندما تغضب عليها السلطات في مختلف العهود لجرأة ما تقدمه من مسرحيات ذات نمط سياسي معين، كان هو حريصا على اعادة تشكيلها من جديد.

في عام ١٩٧٦ وكنت اتهيأ للسفر لدراسة المسرح بعيدا عن بعثات الدولة، التقيته مصادفة وشعرت بهاجس يدعوني ان اخبره بسفري بالرغم من سرية الامر انذاك، قال لي إذهب وتعال سريعا فالمسرح العراقي بحاجة الى دماء شابة. ومن حينها لم اعد الى العراق ولم التق به بالرغم من انني كنت امني النفس بذلك.

في حياته الفنية عمل الفنان السعدي في السينما وفي اول فيلم عراقي هو (عليا وعصام)، وايضا في فيلم (سعيد افندي). وكانت له ادوار مهمة في المسلسلات التلفزيونية والتي جعلت منه فنانا لايمكن ان ينساه الجمهور كما هو الحال في مسلسل (الذئب، النسر وعيون المدينة) عندما مثل شخصيته المهمة عبد الله السلمان.

انه المربي الفاضل والنزيه دائما مع الممثلين الذين يعمل معهم، والطلبة الذين يدرسهم وبروحه الابوية يقدم كل مايمتلكه من ثقافة وخبرة. وعندما اسند لي دور البطولة في مسرحية (عرس الدم) للوركا وكنت انذاك طالبا في اكاديمية الفنون الجميلة، تاخرت عن التمرين نصف ساعة، لم يقل شيئا لكنه خارج التمرين لم يكلمني مدة طويلة، فاضطررت الى ان اهدي له في احد الايام زهرة حمراء.

وفي سنوات النظام السابق عزل من قبل المؤسسات الثقافية والفنية، واسندت له احيانا بعض المناصب الادارية فقط من دون ان يقرر او يضع برامجها ونشاطاتها كادارته للمسرح الوطني. لكنه فضل الاعتكاف في بيته مانعا نفسه من المساهمة باي عمل مسرحي يخدم اهداف النظام السابق وازلامه. لكنه كرم في العديد من المهرجانات المسرحية العربية.

في عام ١٩٧٦ وكنت اتهيأ للسفر لدراسة المسرح بعيدا عن بعثات الدولة، التقيته مصادفة وشعرت بهاجس يدعوني ان اخبره بسفري بالرغم من سرية الامر انذاك، قال لي إذهب وتعال سريعا فالمسرح العراقي بحاجة الى دماء شابة. ومن حينها لم اعد الى العراق ولم التق به بالرغم من انني كنت امني النفس بذلك.

مات الفنان حزينا إلا انه كان متفائلا ، ففي احد تصريحاته الاخيرة يقول (نعيش اليوم في وضع مأساوي؛ حيث الانفلات الأمني والفوضى والخراب، ومن المؤكد أن مثل هذا المناخ لا يمكن أن يساعد على توفير العمل، وخاصة في مجال المسرح أو السينما أو التلفزيون؛ لذا فليس غريبا أن تجد عشرات الفنانين ينتظرون تحت أشعة الشمس يبحثون عن عمل يسدون به رمق عوائلهم، وبرغم أن الكثير من الفنانين يشعرون باليأس فإنني متفائل بأن المستقبل سيكون أفضل بعون الله، ولا بد للمسرح الجاد والملتزم أن يجد طريقه إلى الناس بعد أن تزول هذه الغمة عن هذه الأمة».)

مات جعفر السعدي لكنه ترك هو وزميله الفنان ابراهيم جلال معطفيهما الحريريين في ظلمة المسرح العراقي الانية مثل قدر سيلاحقنا في المستقبل من اجل بناء مسرح عراقي يستحقه العراقيون.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1788)
السنة السابعة
الخميس (6)
آيار 2010

تنويمة لجعفر السعدي

صادق الصائغ

يقول المرء خاشعا كل نفس ذائقة الموت ، وبعد ئذ بوجع يستدرك لكن لماذا أموت
وهذا السؤال خالد منذ آدم وحواء. ومادام الموت حقا ، فيحق للمرء ان يظن ان أكثرنا نبلا وطيبة وجمالا هم اولئك الذين يموتون وايديهم نظيفة تاركين وراء موتهم نسائم تلاحقهم وتلاحقنا وكأنها قادمة من الجنة .بعضنا ، على طريقته في الموت ، يفاجئنا بموته ، فيقلب لا مبالاتنا وهمومنا اليومية الى تساؤل واستفسار ، تاركا وراءه على هذه الارض ، طيبة وكبرياء وبدلا من ان يأخذ منا المعنى يعطينا هو المعنى .وبواسطته نفهم ان الاصالة هي الرجل ، وان الظلام زائل والنهار يطلع، وان الخسة تزول، والطيبة تبقى، وان كل شيء، برغم القسوة ،لم يفقد بعد.لقد مات جعفر السعدي بين ايدي أصدقائه في قاعة السينما والمسرح ، وكان يضحك ويحاور ويسامر، لكنه مات فجأة ، فهل كان موته موتا خاصا أم عادياً ؟ هل كان موتاً مدبراً ؟ هل موت جعفر السعدي في حفل كهذا ، في مؤتمر المثقفين بين ايدي اصدقائه وطلابه وبانتظار ان ترتفع الستارة على جواد الشكرجي يلقي قصيدة السياب : (الشمس أجمل في بلادي من سواها) أم أن للنفس النبيلة المرهقة التي أعطت ولم تأخذ الا القليل حقا في موت خاص يناسب سموها الروحي ؟ اذا كان الموت حقا ، فليكن على طريقة (الموت حبا) ووفق هذا السياق اذن وضع رأسه على كتف مجالسه في الصالة ، ثم بارتعاشة لذيذة غادر الطائر الى سمائه ، فصاح مجالسه : يا ألهي ....قبل لحظة كان يضحك ! !
الا ايها الرجل المتفائل الضاحك حتى في موته ، المتفائل بيوم جديد تنفتح فيه بوابات المسرح الحر على مشارف الحرية ..... نم قريرا فقد وصلت رسالتك ، وصلت الى عمق هذه الارض التي نسكن ...لقد تعلمنا منك كثيرا وسنتعلم منك كثيرا بعد مماتك ..
نم ايها الحبيب المتعب ... نم ايها الفنان الكبير.

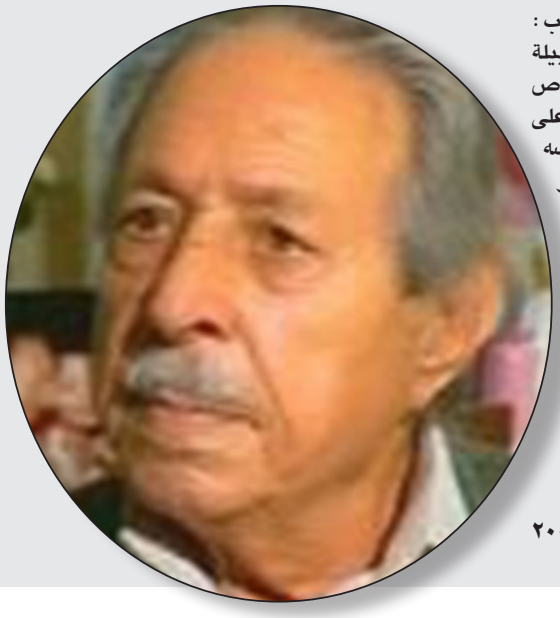

ألقيت في مؤتمر المثقفين العراقيين عام ٢٠٠٥

في ذكرى جعفر السعدي

سيف الدين ولائي

في آخر لقاء تلفزيوني شاهدته له قبل عام من وفاته تقريباً، قال الفنان الراحل جعفر السعدي: للأسف لم يبق من العمر إلا القليل. ثم أضاف: مع كل الأسف.
لا يا سيدي لا تقل هذا!
أجزم أن آلاف القلوب العراقية رددت عبارة كهذه بحرقة وهي تسمع كلمات الفنان السعدي تلك، خصوصاً نحن العراقيين المفارقين العراق منذ ربع قرن أو أكثر، كنا بحاجة إلى شهود اصلاء على هويتنا المصادرة، وجعفر السعدي الذي تشرد أبناؤه وبناته من المسرحيين في أرجاء الأرض، كانوا يريدون منه أن يجمعهم ويعيدهم من جديد إلى بيتهم الأول وحياتهم، على اعتبار أن المسرح هو الحياة والبيت، وكنا نريده أن يعيدنا معهم، والأب هو خير شاهد على الهوية، وجعفر السعدي كان مشروعنا الذي لم يكتمل في إعادة الاعتبار إلى كل ما هو جميل وأصيل.
كنا نتمنى في الأقل أن لا يتقدم العمر بالذين نحبهم، وأن لا يدفعوا ضريبة الأيام والسنين وأن نقطع من ذلك الزمن القسري حتى آخر ساعات الغربة ونوصله من جديد، وكأنا فارقناهم البارحة، لكن الأيام مضت رغماً عنا، وأخذت منا أكثر من حقها.
كنا نرجو الذهاب إليه بوثائقنا الكاذبة كي يمزقها أمامنا، ويعيد إلى نفوسنا المتعبة لمعة الثقة والصدق، كنا سنقول، ما زالت الدنيا بخير، وما زال ثمة من يعيد عمادنا من جديد.
في أكثر من عاصمة ومدينة كبرى كان المسرحيون من تلامذة الفنان الراحل جعفر السعدي يجتمعون في مناسبة ثقافية أو عرض مسرحي جديد، ونحن معهم كصحفيين، يستذكرون أساتذتهم في الأكاديمية والمعهد، وحين يتذكرون أستاذهم السعدي يجرفهم الحنين إلى الوطن، يتوقف المحدث ثواني قليلة، ويتغير طقس الحديث إلى جد دافئ لا وجوم فيه، بل حنين وحسرة دافئة وعيون تتوسل اللقاء.
في أحد تلك اللقاءات الصحفية مع المخرج المسرحي د. اياد حامد، وكنت أحاوره عن تاريخ المسرح في العراق وأهم أساتذته وفترة أواخر الستينيات وبوادر السبعينيات التي كانت العصر الذهبي للمسرح العراقي، التي شهدت أهم العروض المسرحية العراقية والعالمية على مسارح بغداد والعراق، اقترح علي أن أكتب عن هؤلاء المسرحيين الكبار، فذكرت له عبارة الفنان جعفر السعدي وكأنها نبوءة مخيفة، فقال، أكتب عنه. ماذا أكتب؟ أشكره مثلاً على تكريس حياته للمسرح فناً وتدريساً، على أعماله، وتفاصيل أخرى كان اياد سيزودني بها.
رفضت، وامتنعت عن أن أقول كلمة الشكر للراحل الكبير، لأنني كنت أخشى عليه من هذه الكلمة التي تقال دائماً في نهاية المشوار، وتأتي دائماً متأخرة بعد أن ينتهي المشوار بموت يقسرنا جميعاً ويضعنا أمام واقع لا نتمناه.
لم يكن جعفر السعدي فناناً وأستاذا فقط، بل كان واحداً من المسرحيين الكبار، الذين أخشى أن أذكر أسماء بعضهم، إلا في مناسبة غير هذه، من الذين لعبوا دوراً كبيراً في تجميل حياتنا وإضفاء بهجة جديدة لم نألفها هي بهجة المسرح، وتأسيس لصرح أضاف معالم جديدة لمدينة بغداد الجميلة أصلاً، وزاد على جمالها التاريخي جمالاً.
إن مبدعي الحياة نادرون قليلون، وكان من العدل أن يكون موتهم نادراً وقليلاً، ليس اعتراضاً وإنما من أجل هذه الحياة التي حولوها بإبداعهم إلى جوهرة نفيسة.

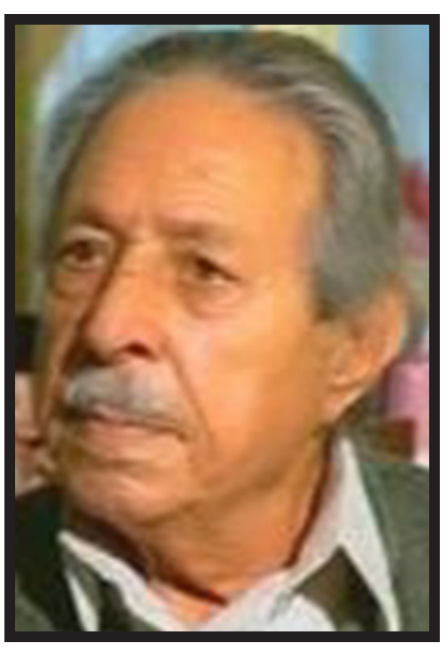

ذاكرة المدرسة

اساتذة معهد الفنون الجميلة في الخمسينيات يتوسطهم الفنان حقي الشبلي مدير المعهد من اليسار جعفر علي، جعفر السعدي ، اسعد عبد الرزاق من اليمين حافظ الدروبي، ابراهيم جلال، حامد الاطرقجي، بهنام ميخائيل

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

التحرير : علي حسين

التصميم : نصير سليم

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

الاشراف اللغوي : يونس الخطيب